حل مشكلات تربية البنات

تأليف

د. موسى الخطيب
أميمة محمد علي

دار الروضة
للنشر والتوزيع



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

لقد جاء الإسلام بشريعة عادلة حكيمة فيما يتعلق بشئون الحياة ونواحيها، ويتضح هذا بجلاء فى نظرته إلى البنت بالنسبة للولد وإلى السيدة بالنسب للرجل.

فتاريخ المرأة قبل الإسلام كان مزريًا ومهينًا لمكانتها، فمعلوم أنها كانت تُوأد بنتًا ، فهى من لحظة ولادتها مكروهة مسخوط عليها غير مرغوب فيها، فما بالك بعد أن يبدأ عودها يشتد، لقد كانت رمزًا للعار لأهلها، وجاء الإسلام فأبطل هذا كله.

إن الإسلام قد أعلى شأن المرأة إلى حدود لم تصل إليه أرقى شرائع بنى البشر حتى الآن .. أكرمها الإسلام بنتًا وفتاة وزوجة وأمًا وجدة وأختًا.

ولكن رغم هذا كله فقد تكشّف لنا - من خلال مؤتمر المرأة العالمى الذى انعقد فى الصين مؤخرًا فى العام ١٩٩٥ - أن وأد البنات على سبيل المثال ما زال موجودًا صحيح أنه فى بلاد وشرائع أخرى غير الإسلام ولكنها موجودة.

ففى الصين على سبيل المثال يئدون البنات لأنهم مقيدون هناك بطفل واحد وهم ما دام طفلاً واحدًا فليكن ولدًا لا بنتًا فإذا جاء المولود بنتًا فَلْتُوأد. وإذا نفد الأمر قاموا ببيع البنت خفية وقبل تسجيلها.

وفى الهند حتى الآن لا يعترفون بالبنات فيئدونهن أيضًا وإذا كـبرن وتزوجن يُحرقن مع أزواجهن.

إن للمرأة فى الإسلام حقوقًـا كثيرة لم تصـل إليهـا المـرأة الأوربيـة نفسها أو الأمريكية إلا مؤخرًا.

هذا الكتاب بيان لمكانة البنت فى الإسلام واعتناء الإسلام بهـا فـى مراحل نموها المختلفة بين المراهقة والنضوج ، فتاة وزوجة ، أختًا وأمًا. ثم تعرضنا لمشـاكل الفتـاة المسـلمة مما يواجهها فـى المجتمـع مـن فـتن واختلاط وكيفية حلها فى الإسلام وبمنهج الله، ولم نترك الفتـاة هكـذا بـل أعطيناهـا نصـائح وتوجيهـات ترشـدها فـى هـذا البحـر المتلاطـم الأمواج.

والله من وراء القصد
وهو يهدى إلى سواء السبيل
المؤلف

البنت ومكانتها فى الإسلام

كانت البنت فى الجاهلية ينظر إليها نظرة ازدراء، وكان الرجال يتشاءمون من البنت ويرون أنها سلعة تباع وتشترى لا قيمة لإنسانيتها ولا اعتبار لرأيها ... وأكثر من ذلك لا حق لها فى الحياة. كما قال عمر بن الخطاب ﷺ: **« والله إن كنا فى الجاهلية، ما نعد للنساء أمرًا حتى أنزل الله فيهن ما أنزل وقسم لهن ما قسم ».**

وكان كثير من العرب يئدون بناتهم، وتسود وجوههم إذا بُشّروا بالبنت، وإن أبقوها أبقوها مهانة، لا يُورِّثونها ولا يهتمون بها، ويفضلون الذكور عليها، وصدق الله العظيم، إذ قال فى كتابه العزيز: ﴿ **وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالأُنثَى ظَلَّ وَجهُهُ مُسوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۞ يَتَوَارَى مِنَ القَومِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَم يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلا سَآءَ مَا يَحكُمُونَ** ﴾ [النحل: ٥٨، ٥٩].

وقال أيضًا: ﴿ **وَإِذَا المَوؤُدَةُ سُئِلَت ۞ بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَت** ﴾ [التكوير: ٨، ٩].

يقول صاحب الظلال فى تفسير هذه الآية: وكان الوأد يتم فى صورة قاسية، إذ كانت البنت تدفن حية، وكانوا يفتنون فى هذا بشتى الطرق، فمنهم من كان إذا ولدت له بنت تركها حتى تكون فى السادسة من عمرها، ثم يقول لأمها: طيبيها وزينيها حتى أذهب بها إلى إحمائها...! وقد حفر لها بئرًا فى الصحراء، فيبلغ بها البئر، فيقول لها: انظرى فيها. ثم يدفعها دفعًا ويهيل التراب عليها، وعند بعضهم كانت الوالدة إذا جاءها المخاض جلست فوق حفرة محفورة، فإذا كان المولود بنتًا رمت بها فيها وردمتها، وإن كان ابنًا قامت به معها! وبعضهم إذا نوى ألا يئد المولودة أمسكها مهينة إلى أن تقدر على الرعى، ثم يلبسها جبة من صوف ويرسلها لترعى له غنمه.

فأما الذين لا يئدون البنات ولا يرسلونها للرعى، فكانت لهم وسائل أخرى لإذاقتها المذلة والهوان ... كانت إذا تزوجت ومات زوجها جاء وليه فألقى عليها ثوبه، ومعنى ذلك أنه يمنعها عن الناس فلا يتزوجها أحد، فإن أعجبته تزوجها دون رغبتها، وإن لم تعجبه حبسها حتى تموت فيرثها، أو أن تفتدى نفسها منه بمال فى هذه الحالة أو تلك.

كانت هذه هى نظرة الجاهلية إلى المرأة، حتى جاء الإسلام يشنع بهذه العادات ويقبحها، وينهى عن الوأد ... ويجعلها موضوعًا من موضوعات الحساب يوم القيامة، ويقول: إن المؤودة ستسأل عن وأدها فكيف بوائدها؟!

وما كان يمكن أن تنبت كرامة المرأة فى البيئة الجاهلية أبدًا، حتى جاء الإسلام وما تنزل شريعة ومنهاجًا فى تكريم الإنسان الذكر والأنثى وفى رفعه إلى المكان اللائق بكائن حى يحمل نفحة من روح العلى الأعلى، فمن هذا المصدر انبعثت كرامة المرأة التى جاء بها الإسلام.

وقد عمل الإسلام بعد ذلك على إزاحة عقدة التشاؤم بالأنثى من نفس الفرد ومن نظر المجتمع، وغرس مكانها عقيدة راسخة، تحرك النفس اشتياقًا لها. وتغمر الشعور فرحًا بها. حتى أمسى ميلادها يُستقبل من الوالد والأسرة والأصدقاء بالتهليل والتكبير والترحيب[1] وأصبح حديثًا سعيدًا يستوجب الزيارة والتهنئة والدعاء.

وأوجب الإسلام على الأب أن يحسن اسم ابنته وأن يذبح عنها شاة يدعو إليها من شاء من الأهل والأقارب والجيران والناس علامة على فرحته بها، فقد ورد عن النبى ﷺ أنه قال: « **إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وبأسماء آبائكم، فأحسنوا أسماءكم** »[2]

(١) كما ورد فى حديث ابنة عمر ﷺ، انظر ابن قيم الجوزية، تحفة المولود بأحكام المولود (١٧٧).
(٢) رواه أبو داود بإسناد صحيح.

وقال النبى ﷺ أيضًا: « **كل غلام رهين بعقيقة تذبح عنه يوم سابعه، ويسمى فيه، ويحلق رأسه** »(١)

ثم جعل بعد ذلك إكرام البنات والاعتناء بهن، واجبًا على الآباء وأولى الأمر، ومسئولية عظيمة مناطة فى أعناقهم، سوف يحاسبون عنها يوم القيامة حسابًا عسيرًا!

وقد بقى الإسلام يحث على معاملة الأنثى بالحسنى، ويدعو إلى ذلك، تارة بالموعظة ... وتارة أخرى بالقدوة ...!

فكان الرسول ﷺ يحمل أمامة بنت زينب على ملأ من الناس. وفى أثناء الصلاة، فإذا سجد وضعها، وإذا قام حملها، فعن أبى قتادة الأنصارى ﷺ قال: «**كان رسول الله ﷺ يصلى وهو حامل أمامة بنت زينب، فإذا سجد وضعها، وإذا قام حملها**»(٢)

وكأنه ﷺ بعمله هذا يقول للناس فى أكبر جمع لهم ... أن الإسلام لا يستحى من الأنثى، وإنما يدعو إلى حملها وإكرامها حتى لحظات الخشوع لله تعالى.

ونظرة الإسلام هذه، ليست حكرًا لبنات فئة من الناس، إنما هى شاملة لجميع الإناث بما فيهن بنات الإماء والعبيد، فعن النبى ﷺ أنه قال: « **ثلاثة لهم أجران ... ورجل كانت عنده أمة – مملوكة – فأدبها فأحسن تأديبها وعلّمها فأحسن تعليمها ثم أعتقها فتزوجها** »(٣)

ومن حسنات الإسلام أيضًا على المرأة المسلمة: أن كانت النساء لا يؤول إليهن من الميراث شىء فى الجاهلية وجاء الإسلام فاختص النساء بنصيب مما ترك أهلها

---

(١) رواه أبو داود والترمذى.

(٢) رواه البخارى ومسلم.

(٣) فتح البارى، جـ١، ص١٩٠، كتاب العلم.

فذلك قوله تعالى: ﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴾. [النساء: ٧].

وقد ضرب النبى ﷺ المثل الأعلى فى معاملة المرأة فكان يقول: « **خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلى** ». وعن أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: « **استوصوا بالنساء خيرًا، فإن المرأة خلقت من ضلع أعوج، وإن أعوج شيء فى الضلع أعلاه، فإن ذهبتَ تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء** »(١)

وقالت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها قال رسول الله ﷺ: « **إنما النساء شقائق الرجال** »(٢)

وقال تعالى: ﴿ يَآ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُم شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُواْ إِنَّ أَكْرَمَكُم عِندَ اللهِ أَتْقَاكُم إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات: ١٣]

وأعطى الإسلام للبنت مطلق الحرية فى اختيار شريك حياتها، فجمع بذلك بين جعل التزويج لولى الأمر، وحق البنت فى قبول من ترضاه من الأزواج ورد من لا ترضاه، فمنع الأولياء من الاستبداد فى تزويج بناتهم وأخواتهم، بغير رضاهن، وكان من ظلم الجاهلية لهن بل ما يزال بعض الآباء يُكرهون بناتهم على الزواج بمن يكرهون من الرجال بغية عرض دنيوى.

إنه اختيار المرأة للرجل، كاختيار الرجل المرأة، وليس لأحد أن يجبرها على رجل لا تهواه، ولا تقبله. بل إن الزواج يكون باطلاً إذا لم يكن برضا الفتاة واختيارها، وهذا دليل كامل على أن دين الله حق، ويشهد لحرية المرأة فى اختيار

---

(١) رواه البخارى ومسلم والترمذى وابن ماجه.

(٢) رواه الترمذى وأبو داود وأحمد والدارمى.

زوجها ما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: « **الثيب أحق بنفسها من وليها، والبكر تستأذن فى نفسها، وإذنها صماتها** »(١)

وعن خنساء بنت خزام الأنصارية: « **أن أباها زوّجها وهى ثيب، فكرهت ذلك فأتت رسول الله ﷺ فرد نكاحها** »(٢)

ومن خلال هذه الأحاديث والنصوص يتضح أن الإسلام لم يعتبر المرأة جمادًا أو حيوانًا يباع ويشترى، بل هى فى نظره مخلوق مكرم، لها كيانها ورأيها، وكلمتها وحريتها.

كما أعطى الإسلام للمرأة حقها فى العمل إذا كان ضروريًا لها ويتناسب مع طبيعتها، كما قص علينا القرآن الكريم فى قصة سيدنا موسى عليه السلام وابنتى الرجل الصالح، يقول الله تعالى على لسان موسى عليه السلام: ﴿ **مَا خَطْبُكُمَا** ﴾ فتجيبان: ﴿ **قَالَتَا لا نَسقِي حَتَّى يُصدِرَ الرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيخٌ كَبِيرٌ** ﴾ [القصص: ٢٣].

فلولا هذه الضرورة لما خرجتا للعمل ولما تعرضتا للاختلاط بالرجال، وساوى بينها وبين الذكر فى المعاملات المالية والعقوبات وطلب العلم وأباح لها طلب الرزق الحلال إذا لم تجد من يعولها وفقًا لحاجتها وصونًا لشرفها وأمكنها من التصرف فى ثروتها.

وإكرامًا للمرأة عمومًا (نزلت سورة النساء الكبرى، وسورة النساء الصغرى) وهى سورة الطلاق فيهما كل ما يتعلق بشئون النساء.

---

(١) رواه الجماعة إلا البخارى انظر نيل الأوطار ٦/١٢٠.

(٢) رواه البخارى فى صحيحه، جـ٣، ص٢٥٠، بحاشية السندى.

تربية الإسلام للبنت وهى طفلة

فى مدارج الصبا

أعطى الإسلام للبنت حق النشأة الطيبة باختيار أم طاهرة، هى الوعاء الذى تنمو فيه. فيقول النبى ﷺ: « **إياكم وخضراء الدمن** » قالوا: « **وما خضراء الدمن يا رسول الله؟** » قال: « **المرأة الحسناء فى المنبت السوء** » ويقول الرسول ﷺ: « **تنكح المرأة لأربع: لمالها وجمالها وحسبها ودينها فاظفر بذات الدين تربت يداك** ».

وقد عمل المجتمع على إزاحة عقدة التشاؤم بالبنت من نفس الفرد ومن نظر المجتمع، وغرس مكانها عقيدة راسخة، تحرك النفس اشتياقًا لها وتعمر الشعور فرحًا بها. حتى إذا جاء يوم ميلادها استقبلته الأسرة والأصدقاء بالسرور والتهليل والترحيب! وأصبح ميلادها حدثًا سعيدًا يستوجب البشارة والتهنئة.

ومن الأحكام التى شرعها الإسلام للمولود سواء كان ذكرًا أم أنثى: الأذان فى أذنه اليمنى والإقامة فى أذنه اليسرى، وذلك بعد الولادة مباشرة، لما روى عن البيهقى وابن السنى عن الحسن بن على عن النبى ﷺ قال: « **من وُلد له مولود فأذن فى أذنه اليمنى، وأقام فى أذنه اليسرى، لم تضره أم الصبيان** »(١)

وسر الأذان والإقامة - كما ذكر ابن قيم الجوزية فى كتابه "تحفة المولود": « أن يكون أول ما يقرع سمع الإنسان كلمات النداء العلوى المتضمنة لكبرياء الرب وعظمته، والشهادة التى أول ما يدخل بها فى الإسلام، فكان ذلك كالتلقين له شعار الإسلام عند دخوله إلى الدنيا، كما يلقن كلمة التوحيد عند خروجه منها، وغير بعيد وصول أثر الأذان إلى قلبه، وتأثره به وإن لم يشعر ».

---

(١) أم الصبيان: هى الريح التى تعرض للولد، فربما يخشى عليه منها، وقيل: هى التابعة من الجن وهى المسماة عند الناس بالقرينة.

وفى ذلك أيضًا فائدة أخرى وهى هروب الشيطان من كلمات الأذان، وإذ كان يرصده حتى يولد، فيسمع شيطانه ما يضعفه ويغيظه أول أوقات تعلقه به.

وفى هذه المعانى التى أفاض فيها ابن القيم رحمه الله، أكبر دليل على اهتمام النبى ﷺ بعقيدة التوحيد والإيمان ومطاردة الشيطان، من حين أن يشم المولود رائحة الدنيا، ويتنسم نسائم الوجود.

ومن الأحكام التى شرعها الإسلام أيضًا للمولود استحباب تحنيكه عقب الولادة، والتحنيك معناه مضغ التمرة، ودلك حنك المولود بها؛ وذلك بوضع جزء من الممضوغ على الإصبع، وإدخال الأصبع فى فم المولود، ثم تحريكه يمينًا وشمالاً حتى يتبلغ الفم كله بالمادة الممضوغة. تطبيقًا لسنة النبى ﷺ واقتداء بفعله.

ولعل الحكمة فى ذلك هى تقوية عضلات الفم بحركة اللسان مع الحنك مع الفكين بالتلمظ، حتى يتهيأ المولود لالتقام الثدى، وامتصاص اللبن بشكل قوى وطبيعى، ومن الأحاديث الدالة على استحباب التحنيك ما جاء فى الصحيحين من حديث أبى بردة، عن أبى موسى ﷺ قال: وُلد لى غلام فأتيت به النبى ﷺ فسماه إبراهيم، وحنّكه بتمرة، ودعا له بالبركة، ودفعه إلىّ.

وأوجب الإسلام على الأب أن يحسن اسم ابنته، وأن ينتقى لها أجمل الأسماء، تنفيذًا لما أرشد إليه، وأمر به نبينا محمد ﷺ، فقد روى أبو داود بإسناد حسن عن أبى الدرداء ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: « **إنكم تُدْعونْ يوم القيامة بأسمائكم وبأسماء آبائكم، فأحسنوا أسماءكم** ».

وأن يذبح عند ولادتها شاة يدعو إليها من شاء من الأهل والأقارب والجيران علامة على فرحته بها وبقدومها، فقد رُوِى عن النبى ﷺ أنه قال: « **كل غلام رهين بعقيقته تذبح عنه يوم سابعه، ويُسمَّى فيه ويحلق رأسه** »(١)

(١) رواه أبو داود والترمذى.

وطالب الإسلام الأمهات برضاعة البنت رضاعة مثمرة، كما يقول الله تعالى: ﴿ وَالوَالِدَاتُ يُرضِعنَ أَولادَهُنَّ حَولَينِ كَامِلَينِ لِمَن أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ ﴾ [البقرة: ٢٣٣]. بحيث يتبع ذلك غذاء كافٍ للنمو السليم.

وتعويدها على العادات الطيبة وفى أولها: (آداب المائدة) فقد حدث لما تزوج النبى ﷺ أم سلمة كان لها ولد صغير يسمى عمر، لاحظ النبى ﷺ أنه لا يحسن آداب المائدة فعلمه فى كلمات: « **يا غلام، إذا أردت الطعام فسَمِّ الله تعالى وكُلْ بيمينك وكُلْ مما يليك** ».

إن النبى ﷺ قد اهتم بتلقين الطفل سواء كان ذكرًا أم أنثى منذ نشأته أصول الإيمان، وأركان الإسلام، وأحكام الشريعة، وتأديبه على حب رسول الله ﷺ وحب آل بيته، وحب الأصحاب والقواد الفاتحين، وتلاوة القرآن الكريم ... حتى يتربى الطفل على الإيمان الكامل، والعقيدة الراسخة ... حتى إذا ترعرع وكبر لم يتزعزع إيمانه بدعايات أهل الكفر والضلال!!

فإذا ربينا الطفل على هذه الأسس ضمنا سلامة عقيدته من الزيغ والإلحاد والانحراف!!

وقد نصح ابن سينا فى كتابه السياسة بالبدء بتعليم الطفل القرآن الكريم بمجرد استعداده جسميًا وعقليًا لهذا التعليم، ليرضع اللغة الأصيلة، وترسخ فى نفسه معالم الإيمان.

كما أشار ابن خلدون فى مقدمته إلى أهمية تعليم القرآن للأطفال وتحفيظه، وأوضح أن تعليم القرآن هو أساس التعليم فى جميع المناهج الدراسية فى مختلف البلاد الإسلامية لأنه شعار الدين الذى يؤدى إلى تثبيت العقيدة، ورسوخ الإيمان.

وأوصى الإمام الغزالى فى إحيائه: (بتعليم الطفل القرآن الكريم، وأحاديث الأخيار، وحكايات الأبرار، ثم بعض الأحكام الدينية).

ومن الأحاديث النبوية الدالة على ذلك:

ما رُوى عن النبى ﷺ أنـه قـال: « **أدبوا أولادكم على ثلاث خصال: حب نبيكم، وحب آل بيته، وتلاوة القرآن** »[1]

مـا رواه الحـاكم عـن ابـن عبـاس رضـى الله عنهمـا أنـه قـال: « **افتحوا على صبيانكم أول كلمة بلا إله إلا الله** ».

ما رواه الحاكم وأبو داود عن ابن عمرو بن العاص رضى الله عنهما عن النبى ﷺ أنه قال: « **مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرّقوا بينهم فى المضاجع** ».

ويقاس على الصلاة الترويض على بعـض أيـام الصـوم إذا كـان الطفـل يطيقـه، وتعويده الحج إذا كان الأب يستطيعه.

وما روى عن النبى ﷺ أنه قال: « **الرجل راع فـى أهلـه ومسـئول عـن رعيتـه، والمرأة راعية فى بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها** »[2]

والسر فى ذلك، حتى يتعلم الطفل أحكام هـذه العبـادات منـذ نشـأته، ويعتـاد أداءها والقيام بها منذ الصغر، وحتـى يـتربى كذلـك على طاعـة الله، والقيـام بحقـه، والشكر له، والثقة بـه، والاعتمـاد عـليه، وحتى يـجـد فى هـذه العبادات أيضًا الطهر لروحه، والصحة لجسمه، والتهذيب لخلقه، والإصلاح لأقواله وأفعاله!!

وحينما يسير الآباء والأمهات فـى تـأديب الأبنـاء والبنـات علـى هـذه الأسـس والقواعد، يستطيعون فى فترة زمنية بسيطة أن يُكوِّنوا جيلاً مسلمًا مؤمنًا بـالله، معـتزًا

(١) رواه الطبرانى.

(٢) رواه البخارى ومسلم.

بـديـنـه، مفتخرًا بتاريخه وأمجاده ويستطيعون كذلك أن يكونوا مجتمعًا نظيفًا طاهرًا من الإلحاد والحقد والجريمة.

والإسلام أمر بتعليم الفتاة العلم النافع والثقافة المفيدة لها فى دينها ودنياها، وأن تقول الشعر الحكيم الرصين، والكلام المحكم المجيد ... ومـن المعلوم تاريخيًا أن أول آية نزلت على قلب الرسول محمد ﷺ هذه الآيات: **﴿ اقرَأ باسم رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ ۞ خَلَقَ الإنسَانَ مِن عَلَقٍ ۞ اقرَأ وَرَبُّكَ الأَكرَمُ ۞ الَّذِى عَلَّمَ بالقَلَمِ ۞ عَلَّمَ الإنسَانَ مَا لَم يَعلَم ﴾** [العلق: ١-٥]

وما ذاك إلا تمجيد لحقيقة القراءة والعلم، وإيذان لرفع منار الفكر والعقل، وفتح لباب الحضارة على مصراعيه.

وأمر النبى ﷺ البنات البالغات واللاتى تكُنَّ فـى حالـة حيـض فـى عيـد الفطـر والأضحى يتعلمن ما ينفعهن من تعاليم الإسلام لقـول أم عطيـة الأنصاريـة رضـى الله عنها: « **أمرنا رسول الله ﷺ أن نُخرج فى الفطر والأضحى العواتق والحيض وذوات الخدور، فأما الحيض فيعتزلن الصلاة ويشهدن الخير ودعوة المسلمين. قلت: يا رسول الله إحداهن لا يكون لها جلباب. قال: لتُلبسها أختها من جلبابها** »[1]

ومما يدل على أن الإسلام اعتنى بالبنت من ناحية تعليمها هذه الأحاديث النبوية الصحيحة:

روى الترمذى وأبو داود واللفظ له أن النبى ﷺ قال: « **من كان له ثلاث بنات أو ثلاث أخوات، أو بنتان أو أختان فأدبهُنَّ وأحسن إليهن وزوَّجهُنَّ فله الجنة** ».

وقد ثبت فى صحيح البخارى ومسـلم أن النبـى ﷺ كـان يخص النسـاء بأيـام يُعلِّمهن فيها مما علمه الله، وذلك لما جاءته امرأة فقالت: يا رسول الله، ذهب الرجال

---

(١) رواه البخارى ومسلم.

بحديثك، فاجعل لنا من نفسك يومًا نأتى فيه تعلمنا مما علمك الله، فقال ﷺ: اجتمعن يوم كذا وكذا، فاجتمعن فجاء رسول الله ﷺ فعلّمهن مما علمه الله.

وثبت أن الشِّفّاء بنت عبد الله المهاجرة القرشية العدوية علّمت حفصة أم المؤمنين الكتابة بإقرار من رسول الله ﷺ.

وقد ثبت تاريخيًا أن المرأة فى ظل الإسلام وصلت إلى أعلى درجات العلم والثقافة ونالت أكبر قسط من التربية والتعليم فى العصور الإسلامية الأولى.

فكانت منهن الكاتبة والشاعرة، كأمثال عائشة بنت أحمد بن قادم، وكانت منهن الطبيبة كأمثال زينب طبيبة بنى أود التى عرفت بعلاج أمراض العيون، وكان منهن المحدثات كأمثال كريمة المروزية، والسيدة نفيسة ابنة محمد، وهذا أكبر دليل على ما تمتاز به التربية الإسلامية من العناية بالعلم والنبوغ الفكرى، والثقافة الإسلامية المتنوعة.

وأمر الإسلام الوالدين أن يستتروا عن أطفالهم عند رغبتهم فى ممارسة العمل الجنسى لإبعادهم عن كل المثيرات والمهيجات الجنسية التى تفسد طباعهم، ولعل أجمل ما قالته بنت لأبيها ما روى عن السيدة فاطمة الزهراء حينما سألها أبوها رسول الله ﷺ: « **ما هو أعظم شيء للمرأة** ». قالت: « **لا يراها رجل ولا ترى رجلاً** » لتبتعد عن كل ما يثيرها ويهيجها ولذلك أمر بتعليم الأطفال عند بلوغهم سن التمييز أن يستأذنوا على والديهم فى الأوقات الأكثر احتمالاً لأن يمارس فيها شيء من هذا، لقول المولى عز وجل: ﴿ **يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُواْ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَـٰثَ مَرَّٰتٍ** ﴾ [النور: ٥٨].

وأمر ﷺ بضرورة الفصل بين الأبناء عند بلوغهم سن العاشرة ليصبح للإناث مكان مخصوص للنوم، لا يسمح للذكور أن يناموا فيه، رغم رابطة الأخوة التى تجمع بين الطرفين، لما روى عن النبى ﷺ أنه قال: « **مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع**

واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرّقوا بينهم فى المضاجع ».[1] وعـدم التفريـق بـين الذكور والإناث فى المضاجع قد يؤدى إلى اتصال جنسى بين الأخ وأختـه، خصوصًـا إذا نشأ الأولاد فى جو أسرى ومجتمعى يشجع على ذلك، كما هو الحال فـى الغـرب الآن.

كـمـا أمر الإسلام الأب أن يعدل بين أبنائه فلا يعطى الذكر دون الأنثى حرصًا على سلامة نفوسهم من الحسد والكراهية، ولأن هذه الظاهرة تؤدى إلى توارث حـب الاعتداء والمشاجرة والعصيان ... وتؤدى إلى المخاوف الليليـة، والإصابـات العصبيـة، ومركبات الشعور بالنقص، لما روى عن النبى ﷺ أنه قال: « **ساووا بين أولادكـم فـى العطية** »[2]

ويقول النعمان بن بشير ﷺ كما جاء فى الحديث الصحيح: تصدق علـىَّ أبـى ببعض ماله، فقالت أمى ... لا أرضى حتـى تشـهد رسـول الله ﷺ، فـانطلق أبـى إلى النبى ﷺ يشهده على صدقتى، فقال رسول الله ﷺ: « **أفعلتَ هـذا لولـدك كلهـم؟** » قال: لا، قال: « **فاتقوا الله واعدلوا فى أولادكم** » فرجع أبى فردَّ تلك الصدقة[3]

والإسلام شدد علـى الأب أن ينفـق علـى أبنائـه، بمـن فيهـم البنـات، لأن هـذا واجـب عليه، وحـذره مـن البخـل والتقتـير ونهـاه عـن أن يمنـع عنهـم ضـــروريًا مـن ضروريات الحياة، أو أن يخص نفسه بشىء دونهم، أو أن يفضل الذكور على الإناث، فقد قال النبى ﷺ: « **من كانت له أنثى فلم يئدها ولم يُهنها، ولم يؤثر ولده عليها أدخلـه الله الجنة** »[4]

---

(١) رواه الحاكم وأبو داود.

(٢) رواه الطبرانى.

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه أبو داود فى سننه.

المراهقة:

هى اكتمال النضج، وبمعناها الدقيق هى الاقتراب المتدرج من النضج الجسمى والعقلى والانفعالى، والمراهقة بمعناها العام: هى المرحلة التى تبدأ بالبلوغ وتنتهى بالرشد (أى إلى ٢١ عامًا)، فهى لهذا عملية بيولوجية حيوية عضوية فى بدئها وظاهرها، اجتماعية فى نهايتها، ويعرف البلوغ، بأنه مرحلة من مراحل النمو الفسيولوجى العضوى، التى تسبق المراهقة، وتحدد نشأتها وفيها يتحول الفرد من كائن لا جنسى إلى كائن جنسى قادر على أن يحافظ على نوعه واستمرار سلالته، وتتميز مرحلة المراهقة بأنها المرحلة الثانية فى حياة الفرد التى تصل فيها سرعة النمو إلى أقصاها.

البلوغ عند الفتاة:

تبدأ الغدة النخامية قبل البلوغ بخمس سنوات بتنشيط الغدد التناسلية، وتعمل على نضجها، ويبدأ إفراز الهرمونات التناسلية الأنثوية للإناث تبعًا لهذا التأثير، إذ تعمل هذه الهرمونات التناسلية بدورها على نمو الأعضاء التناسلية حتى تصل إلى نضجها الصحيح فى نهاية مرحلة البلوغ، وبذلك تعتمد هذه المرحلة على التفاعل القائم بين هرمونات الغدد النخامية والهرمونات التناسلية.

ويتأثر البلوغ بنوع كمية الغذاء الذى تتناوله الطفلة، فكثرة البروتين تؤدى إلى التبكير بالبلوغ، وكثرة المواد الكربوهيدراتية تؤدى إلى تأخير البلوغ، ونقص الغذاء يؤخر بدء البلوغ.

ويقاس بدء البلوغ عند الفتاة بأول حيض (طمث) يحدث لها، ويتراوح مدى هذا البدء فيما بين (٩ – ١٨) سنة، تبعًا لاختلاف العوامل المؤثرة على النضج الجنسى عند الفتاة.

ويحدث الحيض عند الفتاة عندما يبدأ إنتاج البويضة الناضجة وتنتقل من المبيض عبر قناة فالوب إلى الرحم وعندما يتم تلقيحها بالحيوان المنوى تنفجر وينفصل الغشاء الرحمى المعد لاستقبالها ونموها تبعًا لذلك، وينزل فى صورة دم أحمر قان.

ويرتبط سن الحيض لدى الفتاة بالطول والوزن والعمر الهيكلى، أى أن الفتاة الأطول والأثقل والأنضج فى النمو الهيكلى ينضجن مبكرًا عن زميلاتهن الأقصر والأبطأ فى النمو الهيكلى. كذلك يرجع إلى اختلاف البيئة الجغرافية والمناخ ونوع التغذية.

وسواء توقعت الفتاة حدوث أول حيض أم لم تتوقعه فإنها عادة تتنبه لحدوثه. ويجب إعدادها لهذا الحدث لأن بعض الفتيات يُصبْنَ برعب وخوف من الحيض على أنه نزيف لا يمكن إيقافه. وقد يرتبط الحيض فى هذه الصورة بقدم السرور أو بالخبرات المؤلمة فيصبح حدوثه بخبرات غير سارة.

وعادة لا يصحب الحيضَ آلام شديدة، اللهم إلا فى حالات من يعانين ضعفًا جسميًا وهزالاً واضحًا أو عاهة جسمية مثلاً.

ويستمر التوتر والضيق المرتبط بالحيض والانطواء ثم الاختفاء والنسيان ... الخ إلى أن تنتظم الدورة الشهرية وتتعود الفتاة عليها.

وتعتبر أهم الخصائص الجنسية الثانوية التى تظهر للبنات نتيجة إفرازات الهرمونات المنشطة للأنوثة التى تسمى الاستروجين هى نمو الأعضاء التناسلية (قناة فالوب - والرحم - والمهبل) واتساع الحوض - والردفين - واستدارة الأفخاذ، ونمو الصدر والثديين، والغدد اللبنية، وظهور شعر العانة، وتحت الإبط، وبعض الشعر الخفيف على الذراعين والشفة العليا، وخفض وعمق الصوت.

وتشعر الفتاة بالحرج عندما تجد أن أجزاء جسمها النامية (خاصة الثديين والردفين) قد أخذت شكلاً جديدًا لافتًا للأنظار بطريقة تختلف عن ذى قبل لأنها أجزاء خارجية تظهر من الملابس ويمكن أن تتحرك.

ويعتقدن أن السمنة هى السبب فى اتساع أردافهن فيبدءن فى عمل (رجيم) فى الطعام بينما السبب الحقيقى هو النمو العظمى.

صحة البنت المراهقة:

على الوالدة أن تشرح لابنتها وظائف وأمور الحيض فى وقت مبكر، وأن الطمث (الحيض) أمر طبيعى تشترك فيه جميع النساء، وعليها عدم الاستهزاء بها والاستخفاف بآلامها ثم بمداراتها.

يجب أن يقال لها بأن الحيض ليس بمرض وظهوره عندها معناه نضجها وازدهارها. قولى لها: لم تعودى يا فتاة طفلة ..، فقد غدوت أنثى كاملة النضوج، وعندما تتزوجين سيكون لك أولاد، لأن الحيض جاءك، وهو دليل على تمكنك من ولادة الأولاد فى المستقبل، وما الدم إلا عصير مدمى خلق لتغذية طفلك المقبل. ولو كنت مريضة حقًا أو عقيمة لما جاءك الطمث أبدًا.

ومع ذلك فيجب ألا نترك الفتاة وحدها تجتر آلامها، بل يجب أن نمد لها يد العون فنخفف من كربها ولا نتركها فريسة الألم تنظر برعب إلى نهاية كل شهر. وأن ننصحها بتجنب كل ما من شأنه إثارتها واستفزازها.

ويعتقد كثير من الناس أن لا علاج لعسر طمث الفتيات وآلامهن إلا بالزواج مع أن الطب الحديث يستطيع أن يمسح بيده عن جبينهن الأسى والألم، فلا تستسلمى يا فتاتى لألم الحيض.

وإذا حاضت البنت لأول مرة فمن واجب الأم أن تكرس من وقتها ساعات لتشرح لابنتها ما هى مقبلة عليه، وما يجب عليها عمله، وتهىء فوطها وتعلمها طريقة

العناية الصحية بفرجها، ولتفهمها بأن شعور المرأة بالصحة والسعادة يتوقف على نظافة هذا المكان. وأن مستقبلها كخطيبة وزوجة رهين بعدم صدور الروائح منه.

أما خير الوصايا الصحية لتنظيف الفرج، فهى وجوب غسله بالصابون مرة كل يوم، وعليها أن تبول أولاً، ثم تغسل المكان الظاهر ثانيًا وبين ثناياه، بالماء الحار، مستعملة فى ذلك اسفنجة لينة تحفظ خصيصًا لهذا الغرض، وبعدها تستعمل منشفة خاصة لينة غير خشنة. ويجب تخير الصابون من النوع الجيد غير المخرش، ومن الضرورى عدم إدخال الصابون داخل الفرج لأن الصابون يهيج الغشاء المخاطى. وبعد التنشيف ترش طبقة رقيقة من بودرة التلك، ويفضل تعطير التلك بقليل من الخزامى (اللاوند)، وللخزامى خاصية امتصاص الروائح ومكافحة التشنجات، وهو موجود عند العطارين، وتمنع الفتاة من مسح المكان بالعطور ذات الروائح النفاذة، فالأعضاء التناسلية ليست زهورًا تعبق بالأريج وتنصح كل فتاة وسيدة باقتناء (أوراق النشاف) أو (الكلينكس) توضع فى محفظتها لتمسح به فرجها بعد كل تبول، وتزيل عنه آثار البول عند عدم وجود الماء، لتستخدمه كلما اضطرتها الحاجة إلى التبول خارج دارها.

ووجب على الأم أيضًا أن تصارح ابنتها إذا بلغت سن التاسعة فما فوق وتذكرت احتلامًا[1] ورأت الماء الرقيق الأصفر على ثوبها بعد الاستيقاظ، أصبحت بالغة ومكلفة شرعًا، وجب عليها الغسل، لما روى أحمد والنسائى عن خولة بنت حكيم أنها سألت النبى ﷺ عن المرأة ترى فى منامها ما يرى الرجل، فقال: « **ليس عليها غسل حتى تُنزل، كما أن الرجل ليس عليه غسل حتى ينزل** ».

كذلك يجب على الأم أن تصارح ابنتها أنها إذا بلغت سن التاسعة فما فوق ورأت دم الحيض أصبحت بالغة ومكلفة شرعًا، فتمتنع عن الصلاة والصيام فى أيام

---

(١) الاحتلام: هو ما يراه النائم فى نومه والمراد به الجماع.

الحيض وبشرط أن تقضى ما فاتها من صيام بعدد أيام الحيض التى أفطرتها ولا قضاء عليها فى الصلاة. فمن حديث رسول الله ﷺ الذى رواه البخارى عن عائشة رضى الله عنها: « ... **فإذا أقبلتْ الحيضة فدعى الصلاة، وإذا أدبرتْ فاغتسلى وصلى** ».

وكذلك يجب على الأم أن تعلم ابنتها أحكام الحيض الباقية، وهى:

١ - يحرم على الحائض الطواف بالبيت فرضه ونفله ولا يصح منها لقول النبى ﷺ لعائشة لما حاضت وهى محرمة: « **افعلى ما يفعل الحاج، غير أن لا تطوفى بالبيت حتى تطهرى** ».(١) وأما بقية مناسك الحج والعمرة فتفعلها وهى حائض، وعلى هذا فلو طافت وهى طاهرة ثم خرج الحيض بعد الطواف مباشرة أو أثناء السعى فلا حرج فى ذلك. ويسقط عن الحائض طواف الوداع، وأما طواف الحج والعمرة فلا يسقط بل تطوف إذا طهرت.

٢ - يحرم على الحائض المكث فى المسجد حتى مصلى العيد يحرم عليها أن تمكث فيه لما ورد فى الحديث الصحيح: « **ويعتزل الحيّض المصلى** ».(٢)

وينبغى أن يقال للحائض أن لا تقرأ القرآن نطقًا باللسان (إلا عند الحاجة) وإنما تكون القراءة نظرًا بالعين أو تأملاً بالقلب فلا بأس بذلك، وهذا يعنى عدم مسِّها للمصحف وهى حائض حتى تطهر.

---

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

ابنتك المراهقة تحتاج إلى معاملة خاصة

الكثير من الأمهات والآباء يخافون على مستقبل بناتهن فى مرحلة المراهقة، وجاءت الشكوى على لسان إحدى الأمهات من معاملة ابنتها المراهقة لها تقول: « التعامل مع ابنتى المراهقة أصبح يُشكّل مشكلة بالنسبة لى فهى قمة فى الرقة وأحيانًا فى قمة التمرد. متعاونة أحيانًا ومنطوية فى أحيان أخرى، وتصر دائمًا على تحدى الجميع ».

وللتغلب على هذه الشكوى يقترح خبراء شئون الأسرة أن يعمل أولياء الأمور على اكتساب صداقة جيل جديد كانوا بالأمس أطفالاً، وعن طريق هذه الصداقة يستطيع الآباء والأمهات مساعدة الأبناء على اجتياز مرحلة حرجة فى حياة أولادهم، وهى مرحلة قد يجتازها بعض الصغار بهدوء وسلام بينما يجد آخرون صعوبة فى تقبل التغير النفسى والجسمانى الذى طرأ عليهم فينعكس ذلك على تصرفاتهم.

ويؤكد فريق من الباحثين أن فتور العلاقة بين الآباء والأبناء وافتقار الحوار الصادق بينهم يعتبر إحدى المشكلات الأساسية التى تواجه الأبناء عندما يحاولون اجتياز سن الطفولة إلى النضج، واقترح فريق الباحثين على أولياء الأمور عدة نصائح يساعد اتباعها فى معاملة الأبناء على أسس سليمة والتفاهم معهم بسهولة، ومنها:

١ – الإصغاء باهتمام لكلام الابنة عندما تلجأ إلى الأم أو الأب فى طلب المشورة، وإذا كانت الأم مشغولة فى الأعباء المنزلية والأب منصرف إلى مشاهدة التلفزيون فعليهما أن يجعلا ابنتهما تشعر أن كلامها أهم حتى لو تراءى للوالدين أن الموضوع غير ذى أهمية.

٢ – معاملة الابنة والتحدث إليها بأسلوب يُشعرها بأنها قد نضجت فذلك سيشجعها على فتح موضوعات جديدة للحوار.

٣ – إدراك الحوار وإقناع الابنة بلطف بوجهة النظر الأخرى أكثر واقعية من سرد المواعظ وتقديم النصائح الجافة.

٤ – عدم السخرية من آراء الابنة حتى ولو كانت سخيفة ومتطرفة، لأن ذلك قد يسبب حرجًا شديدًا يجعلها تحجم عن فتح حوار كما يؤدى النقد المستمر لتصرفات الجيل الجديد لهروبه من المناقشة مع الأبوين.

٥ – ضرورة الحزم فى الأمور المتعلقة بالمبادىء والأخلاقيات ومناقشة الموضوعات المتنوعة مع الأبناء وتشجيعهم على الهوايات المختلفة التى قد يشارك فيها أولياء الأمور أيضًا.

٦ – امتداح الابنة على عمل أدته بنجاح بدلاً من التركيز دائمًا على إبراز الأخطاء.

٧ – السماح للابنة بإبداء الآراء فى قرارات هامة تتعلق بالأسرة وحتى لو اختلفت الآراء بين الجيلين فعلى أولياء الأمور إدراك أن المناقشة فى المصلحة العامة للأسرة، وأن اختلاف التفكير وتصور الأمور بين الجيلين أمر طبيعى، وأن المناقشة البناءة تساعد طفل الأمس أن يصبح أمل الغد ورجل المستقبل، وأنه فى خلال المناقشات يمكن توجيه الجيل الجديد حتى يصبح المستقبل خيرًا من الماضى.

معاملة النبى ﷺ لبناته

رُزِق النبى ﷺ من البنات أربعًا ومن الذكور ثلاثة، فمات الذكور صغارًا وبقى الإناث فرضى بما قسم الله له، وكان أول أب فى الجاهلية يستقبل ابنته (زينب) ببشر وترحاب، وينحر الذبائح ويقيم الأفراح على غير عادة العرب، واشتد حبه للسيدة خديجة بعد إنجاب البنات، وقد كان النبى ﷺ مثالاً للأبوة الحانية بعاطفتها الغامرة وصفائها الشامل ومشاعرها النبيلة نحو بناته.

وما أظلم هؤلاء الذين يعيشون بعقلية الماضى فيحبون إنجاب البنين فقط ويؤثرونهم بحبهم، أو يحاولون جاهدين إخضاع عاطفتهم لحب البنين وبُغْض البنات.

أمام أنظار هؤلاء نضع أبوة محمد ﷺ التى ما خص بها مولودًا دون آخر، أو جنسًا دون جنس، وقد مات ولداه القاسم وعبد الله صغيرين، ثم لحق بهما غلامه الثالث إبراهيم قبل أن يستكمل عامه الثالث، فحرمه الله من البنين وأبقى الله له البنات، حظِيْنَ كلهن بأبوة حانية راضية، وعاطفة لم تعرف مقتًا ولا كرهًا فأسعدتهم وأسعدته.

فلعل هذه الصورة المحمدية تكون قدوة صالحة للمصدِّقين برسالته التى لا تخص البنين بالحظ الأوفر من الحب والمودة، وتعطى البنات ما تبقى من الحب، إن كان للحب بقية!!

سئلت فاطمة الأنبارية: أى أولادك أحب إليك؟ فأجابت: هم كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفاها.

وقد اعتنى النبى ﷺ بهن وأحسن تربيتهن وترك لهن حرية اختيار الزوج وكان رحيمًا بهن مجيبًا لطلباتهن فى حدود إمكانياته تغلب عليه مشاعره نحوهن.

وكان النبى ﷺ حيًا فورثت عنه بناته الحياء، وهو القائل: « **استحوا من الله حق الحياء** » قالوا: (يا رسول الله إنا نستحى من الله والحمد لله) قال: « **ليس ذلك**

الاستحياء من الله حق الحياء أن تحفظ الرأس وما وعى، والبطن وما حوى، وتذكر الموت والبلَى، ومن أراد الآخرة وترك زينة الحياة وآثر الآخرة على الأولى، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء ».

وكان النبى ﷺ مرحًا مع بناته يعاملهن كبشر، يقول المولى ﷻ: ﴿ **قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ** ﴾. [الأعراف: ٣٢].

وقد امتد حب الرسول ﷺ متجاوزًا بناته إلى حفدته، فقد كان ﷺ يصلى وهو حامل أمامة بنت ابنته زينب، فإذا سجد وضعها وإذا قام حملها.

وعندما سمع الحسن يبكى - وعلى وفاطمة لا يسمعانه - أسرع الرسول إلى شاة كانت تقبع فى الدار فحلبها وسقى الحسن من لبنها. وكان يقول لابنته فاطمة إذا سمع الحسن يبكى، أن بكاءه يؤذينى.

وقال أسامة بن زيد: طرقت باب النبى ﷺ فى بعض الحاجة، فخرج رسول الله ﷺ وهو مشتمل على شىء لا أدرى ما هو، فلما فرغت من حاجتى قلت: ما هذا الذى أنت مشتمل عليه يا رسول الله؟ فكشفه فإذا الحسن والحسين، وقال: « **هذان ابناى وابنا بنتى. اللهم إنى أحبهما، فأحبهما، وأحب من يحبهما** ».

ووقف التاريخ الإنسانى يراقب مبهورًا هذا النبى الإنسان، فى أبوته الفياضة بأنقى الحب وأصفى الحنان، وأصغت الإنسانية فى فخر واعتزاز، إلى ما تواترت به الأنباء من ذلك الحب الكبير، الذى يكشف عن جانب من عظمة الرجل المصطفى فى السماء.

وقد كان النبى ﷺ يقول: « **من كان له ولد فليتصاب له** »، فيكون معه كما يكون الصبى مع الصبى ملاطفة له وايناسًا.

وقد قال عمر بن الخطاب: « يا رسول الله ما بالنا نرق على أولادنا ولا يرقون علينا ». فأوجز له الرسول ﷺ سبب الرقة والحنان فى كلمات عندما أجابه: « **لأننا ولدناهم ولم يلدونا** ».

وكأنّى بعمر بن الخطاب يتبع هذا المنهج المحمدى حينما قال: « **أحب أن يكون الرجل فى أهله كالصبى، فإذا احتيج إليه كان رجلاً** ».

وقد نزع عمر الثقة من وال لا يحنو على صغاره، فقد عهد بالولاية لواحد من الناس فأقبل على مجلسه ليشكره، وبينما هم جلوس قدم صبى صغير فجلس فى حجر عمر الذى هشَّ فى وجهه وبشَّ وأقبل على الصغير يداعبه ويلاعبه، مما استرعى انتباه ذلك المرشح للولاية فقال لعمر متعجبًا: أتقبل هذا يا أمير المؤمنين؟! إن لى عشرة أولاد ما قبّلْتُ واحدًا منهم، ولا دنا أحد منى!!. فأجابه عمر: « **وما جريرتنا نحن إن كان الله ﷻ قد نزع الرحمة من قلبك، إنما يرحم الله من عباده الرحماء** ». ثم أمر الكاتب أن يمزق كتاب الولاية وهو يقول: « **إنه لم يرحم أولاده فكيف يرحم الرعية؟** ».

نصيحة أم لابنتها قبل الزواج

أختى المسلمة أضع أمامك هذه النصيحة المفيدة لكى تسعدى فى حياتك الزوجية الجديدة. والله يوفقك.

كانت أمامة بنت الحارث التغلبية من فُضْليات نساء العرب ولها حكم مشهورة فى الأخلاق والمواعظ.

فعندما تزوج الحارث بن عمرو ملك كندة ابنة عوف بن محلم الشيبانى ابنتها أم إياس بنت عوف وأرادوا أن يحملوها إلى زوجها أوصتها أمها فى ليلة الزفاف إلى زوجها بالوصية التالية:

(أى بنية: إنك فارقت بيتك الذى منه خرجت(١) وعشك الذى فيه درجت(٢) إلى رجل لم تعرفيه، وقرين لم تألفيه، فكونى له أمة يكن لك عبدًا(٣) واحفظى له خصالاً عشرًا، يكن لك(٤) ذخرًا، أما الأولى والثانية فالخشوع له بالقناعة(٥) وحسن السمع له والطاعة، وأما الثالثة والرابعة فالتفقد لموضع عينه وأنفه فلا تقع عينه منك على قبيح، ولا يشم منك إلا أطيب ريح(٦) وأما الخامسة والسادسة فالتفقد لوقت منامه وطعامه، فإن تواتر الجوع ملهبة(٧) وتنغص النوم مغضبة(٨) وأما السابعة والثامنة،

---

(١) نشأت ونبت فيه.

(٢) نموت وترعرعت.

(٣) عامليه معاملة فيها تواضع ولين يعاملك معاملة مثلها.

(٤) تكن هذه الخصال ذخيرة لك عنده.

(٥) تريد بالخشوع والطاعة. أى أن تقنع بما يقدمه لها ولا تطالبه بما تشمئز منه نفسه ويثقل عليه طلبه.

(٦) تأمرها بالتزين له والطيب.

(٧) تريد أنه يثير كاللهب الذى يؤلم الجسم بإحراقه.

(٨) باعث للغضب.

فالاحتراس بماله[١] والإرعاء[٢] على حشمه وعياله، ومـلاك[٣] الأمـر فـى المـال حسـن التقدير، وفى العيال حسن التدبير[٤] وأمـا التاسـعة والعاشـرة فـلا تعصـين[٥] لـه أمـرًا، ولا تفشين له سرًّا، فإنك إن عصيـت أمـره أوغـرت[٦] صـدره، وإن أفشـيتِ سـره لم تأمنى غدره،[٧] ثم إياكِ والفرح بين يديه إذا كان مُهْتمًّا، والكآبـة بـين يديـه إذا كـان فرحًا)[٨]

(١) المحافظة على ماله وعدم التبذير فيه.

(٢) الرعاية والمحافظة. والحشم أتباع الرجل.

(٣) ملاك الشيء روحه وصميم حياته وبقائه. وحسن التقدير وضع الشيء فى موضعه.

(٤) حسن التعليم.

(٥) جملة خبرية أى أنك لا تخالفينه فيما يأمر به.

(٦) اغضبتيه.

(٧) تذهب مكانتك من نفسه فلا يبقى على مودتك. وهذا ما أرادت بالغدر.

(٨) إذا كان مهمومًا. تريد أن تشاركه فى حالته النفسية فتأنس نفسه إليها. وتقر محبتها فى قلبه.

البنت زوجة

حث الإسلام على الزواج[1] ورغَّب فيه على خلاف كثير من الأديان والفلسفات ونهى الرجال عن الرهبنة والاختصاء، والتبتل[2] لما فى ذلك من ظلم كبير للمرأة، واهتضام واضح لحقوقها.

وقد غرس الإسلام فى أذهان المسلمين - بعد أن حثهم على الزواج - عقيدة مبدأية، ترشدهم إلى الكيفية التى تختار على أساسها الزوجة، وهى عقيدة تقوم على أساس الصفات المستمدة من إنسانية المرأة لا من جمالها أو مالها أو حسبها، الصفات التى تسهم هى - كإنسان مسئول - فى بنائها وتكوينها، والتى تستحق أو لا تستحق بناء على نجاحها أو فشلها أن تختار زوجة، وسوف نشرح هذه الصفات بالتفصيل فى الأبواب القادمة.

وهى بهذا لا تدخل إلى قناعة الرجل وقلبه من باب الحب والجمال، أو من باب الطمع والمال، أو من باب الحلم بالرفعة والجاه، وإنما تدخل إليه من باب الاعتراف بسمو إنسانيتها، ورفعة مكانتها لا غير. فعن أبى هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال: « **تنكح المرأة لأربع، لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها. فاظفر بذات الدين تربت يداك** »[3]

وعندما ينجح الرجل فى العثور على المرأة التى تناسبه، فلا يعنى هذا أن الأمر قد انتهى، وإنما لا بد من موافقتها شخصيًا على هذا الزواج سواء كانت بكرًا أو ثيبًا، ولها الحق الكامل فى أن ترفض، وليس لوليها أن يكرهها على زواج هى لا تريده.

---

(١) الأحاديث فى ذلك كثيرة منها قوله ﷺ: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج».

(٢) من ذلك ما روى ابن عباس ﷺ أن النبى ﷺ قال: «لا تبتل فى الإسلام».

(٣) رواه مسلم فى صحيحه م٤/١٧٥ المختصر ص٢٠٧، وانظر الفتح الربانى، حـ١٦/ص١٤٤.

وإن فعل وزوّجها قبل أن تبلغ سن الرشد، فإنه يحق لها بعد أن تبلغ أن تختار بين البقاء وبين فسخ العقد وإنهائه.[1] فقد روى عن النبى ﷺ أنه قال: « **لا تنكح الأيم حتى تستأمر، ولا تنكح البكر حتى تستأذن** »[2] والأيم التى سبق لها الزواج، فإن أكرهت على الزواج كان زواجها باطلاً.

وقد منحها الإسلام كذلك حق الزواج بمن هو كُفء لها، وإن حصل وأن تزوجت بمن هو دونها جاز لها أن تتركه، وأن تتزوج بمن يساويها، لما روى عن عائشة رضى الله عنها قالت: « جاءت فتاة إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، إن أبى زوّجنى ابن أخيه يرفع بى خسيسته - دناءته - فجعل الأمر إليها، فقالت: إنى أُخبرت ما صنع أبى ولكن أردت أن تعلم النساء أن ليس للآباء من الأمر شيء »[3]

وبقدر ما تكون المرأة ضعيفة، بقدر ما يكون الإسلام أصرح فى حماية حقوقها، وعلى رأس ذلك حقها فى بناء حياتها واختيار شريكها، فاليتيمة التى لا أب لها ولا أم، جعل الإسلام الأمر إليها فى أن توافق أو لا توافق على المتقدم لها. ولم يجز تدخل ولى الأمر بتزوجها ممن يحب إن هى رفضت، فعن ابن عمر ﷺ قال: توفى عثمان بن مظعون وترك له ابنة من خويلة وأوصى بها إلى أخيه قدامة قال عمر: وهما خالاى قال: فخطبت إلى قدامة ابنة عثمان فزوجنيها ودخل المغيرة بن شعبة إلى أمها فأغراها بالمال فحطت إليه وحطت البنت إلى هوى أمها: فأبيا حتى ارتفع أمرهما إلى رسول الله ﷺ فقال له قدامة: يا رسول الله ابنة أخى أوصى بها إلىّ فزوجتها ابن عمتها عبد الله بن عمر، فلم أقصر بها فى الصلاح ولا فى الكفاءة، ولكنها امرأة وإنما أحطت

(١) انظر مبشر الطرازى الحسينى، المرأة وحقوقها فى الإسلام، ص١٨.

(٢) انظر صحيح مسلم م٤-١٤٠ أو المختصر ص٢٠٩.

(٣) الفتح الربانى: جـ١٦، ص١٦٣.

إلى هوى أمها، فقال رسول الله ﷺ: « هى يتيمة ولا تنكح إلا بإذنها » قال ابن عمر: فانتزعت منى بعد أن ملكتها فزوَّجوها المغيرة بن شعبة[1]

وللمرأة الحق فى الخطبة ورؤية الزوج قبل أن تقترن به، فقد قال النبى ﷺ للمغيرة بن شعبة وقد خطب امرأة من الأنصار و لم يرها: « انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما ». أى يزداد التوافق والمحبة، حتى المرأة التى مات عنها زوجها من حقها الخطبة: ﴿ وَلا جُنَاحَ عَلَيكُم فِيمَا عَرَّضتُم بِهِ مِن خِطبَةِ النِّسَآءِ أَو أَكنَنتُم فِى أَنفُسِكُم عَلِمَ اللهُ أَنَّكُم سَتَذكُرُونَهُنَّ وَلَكِن لا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا ﴾ [البقرة: ٢٣٥]

وأمر الإسلام بإشهار الزواج فلا يكون سرًا كما هو الحال مع (الزواج العرفى) لأن فيه ضياعًا لحقوق المرأة.

ولها حق المهر بقوله تعالى: ﴿ فَمَا استَمتَعتُم بِهِ مِنهُنَّ فَأتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ﴾ [النساء: ٢٤] ورفع مهرها حسب القدرة دون تحديد ولذلك لما أراد عمر أن يحدد المهور اعترضته امرأة وقالت: (ألم تقرأ القرآن) ثم قالت: ﴿ وَإِن أَرَدتُّمُ استِبدَالَ زَوجٍ مَّكَانَ زَوجٍ وَءَاتَيتُم إِحدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلا تَأخُذُواْ مِنهُ شَيئًا ﴾ [النساء: ٢٠] فأوصل المهر قنطارًا من ذهب ويقول الله: ﴿ لِيُنفِق ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ ﴾ [الطلاق: ٧].

والمهر فى الإسلام لا يعتبر ثمنًا للمرأة، ولا تعويضًا عما أنفقوا عليها خلال فترة حياتها عندهم، وإنما هو تعبير عن المحبة وتوثيق لعرى المودة والرحمة بين الزوجين، يقول الشيخ محمد عبده رحمه الله فى هذا المعنى: إن الصلة بين الزوجين أعلا وأشرف من الصلة بين الرجل وفرسه أو جاريته، لذلك قال سبحانه فى المهر: ﴿ وَءَاتُواْ النِّسَآءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحلَةً ﴾ [النساء: ٤] فالذى ينبغى أن يلاحظ أن هذا العطاء آية من

(١) الفتح الربانى جـ١٦، ص١٥٩.

آيات المحبة وصلة القربى وتوثيق عرى المودة والرحمة، وترى عرف الناس جاريًا على عدم الاكتفاء بهذا العطاء بل يشفعه بالهدايا والتحف.[1]

وإضافة إلى القيمة المالية للمهر، والتى تعتبر حقًا خالصًا للمرأة وحدها، فإن لها كذلك الحق فى الميراث من أبيها وزوجها وأولادها، وغيرهم من الأقارب.

كما أن الإسلام أعطى للزوجة حق البيع والشراء والهبة والصدقة وغير ذلك. وجعل لها الدفاع عن مالها حقًا شرعيًا، كالدفاع عن نفسها بالتقاضى وغيره. بيد أن المرأة الفرنسية لا تزال إلى اليوم مقيدة بإرادة زوجها فى جميع التصرفات المالية والعقود القضائية[2]

وحفاظًا على مكانة المرأة وقيمتها فى الأسرة والمجتمع، فإن الإسلام لم يبح من أنواع الزواج التى كانت منتشرة فى الجاهلية إلا نوعًا واحدًا لا غير. واعتبر الأنواع الأخرى باطلة ولاغية، لما فيها من هضم لحقوق المرأة وانتقاص لكرامتها، كنكاح الاستبضاع، والنكاح الجماعى، وغير ذلك من الأنكحة التى كانت سائدة قبل الإسلام.

قالت عائشة رضى الله عنها: « **إن النكاح فى الجاهلية كان أربعة أنحاء، فنكاح منها نكاح الناس اليوم، يخطب الرجل إلى الرجل وليته أو ابنته فيصدقها ثم ينكحها، والنكاح الآخر، كان الرجل يقول لامرأته إذا طهرت من طمثها: أرسلى إلى فلان فاستبضعى ويعتزلها ولا يمسها أبدًا حتى يتبين حملها من ذلك الرجل الذى تستبضع منه، فإذا تبين حملها، أصابها زوجها إذا أحب، وإنما يفعل ذلك رغبة فى نجابة الولد، فكان هذا النكاح، نكاح استبضاع، ونكاح آخر يجتمع الرهط ما دون العشرة فيدخلون على المرأة، كلهم يصيبها، فإذا حملت ووضعت ومر عليها ليال بعد أن تضع حملها أرسلت**

(١) محمد رشيد رضا، حقوق النساء فى الإسلام، ص٢٢-٢٣.

(٢) محمد رشيد رضا، حقوق النساء فى الإسلام، ص٢٠.

إليهم فلم يستطع رجل منهم أن يمتنع حتى يجتمعوا عندها فتقول لهم: قد عرفتم الذى كان من أمركم وقد ولدت فهو ابنك يا فلان، تسمى من أحبت باسمه فيلحق به ولدها ولا يستطيع أن يمتنع ... ونكاح آخر وهن البغايا كن ينصبن على أبوابهن رايات تكون علمًا فمن أرادهن دخل عليهن، فإذا حملت إحداهن ووضعت حملها، جمعوا لها، ودعوا لها القافة ثم ألحقوا ولدها بالذى يرون فالتاطه ودُعِى ابنه لا يمتنع عن ذلك »[1]

كما ألغى الأنكحة الأخرى التى كان مسكوتًا عن بعضها فى بداية الدعوة كنكاح المتعة[2] الذى يحرم المرأة من الميراث، ومن حقوق أخرى كثيرة إذ لا غاية منه إلا التمتع بالمرأة.

ونكاح الشغار[3] الذى يجعل من المرأة وسيلة رخيصة لاستجلاب المتعة[4] للرجل!

بل إن الإسلام ذهب إلى أعمق من ذلك. فقد نهى عن كل عمل عابث يمارسه الرجل مع زوجته، فنهى عن العزل[5] لأن فيه تمتعًا بالمرأة وهروبًا من التبعات، ونهى عن إتيان الزوجة فى دبرها[6] حتى إن البعض اعتبر هذا العمل سببًا كافيًا لإيقاع

---

(١) الجامع الصحيح للإمام البخارى، كتاب النكاح، باب من قال: (لا نكاح إلا بولى).

(٢) عن على بن أبى طالب ﷺ أن رسول الله ﷺ نهى عن متعة النساء يوم خيبر صحيح مسلم م٤ - ١٣٤، المختصر، ص٢١١.

(٣) انظر الفتح الربانى، حـ١٦. أبواب الأنكحة المنهى عنها.

(٤) نكاح شغار يعنى أن يزوج الرجل ابنته لرجل على أن يزوج له الآخر ابنته دون إعطاء مهر لأىٍّ منهما.

(٥) انظر أحاديث النهى عن العزل فى صحيح مسلم - على سبيل المثال - م٤ - ١٥٩ - ١٦٠ - ١٧٠، والمختصر، ص٢١٦-٢١٧، والفتح الربانى، حـ١٦، أبواب العزل، ص٢١٨- ٢١٩.

(٦) انظر النهى عن إتيان المرأة فى دبرها. الفتح الربانى جزء ١٦ باب النكاح، أحاديث من (٢٣٨-٢٤١). وقال ابن تيمية رحمه الله: ومتى وطئها فى الدبر، وطاوعته عُزِّرا جميعًا، وإلا فُرِّق بينهما كما يُفرَّق بين الفاجر ومن يفجر به. فقه السنة، المجلد الثانى دار الكتاب العربى، لبنان، ط ٣ - ١٩٧٧م.

الطلاق، لأن هذا ضرب من اللهو الساقط، والعبث الماجن واستخفاف واضح بكرامة المرأة.

أمر الإسلام لها بحسن العشرة:

قال تعالى: ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ١٩].

ما هى حقوق الزوج على زوجته ؟

أولاً: القوامة: فمن حق الزوج على زوجته أن يكون قيمًا عليها، فله الرياسة والسيطرة يؤدبها حتى لا تخالفه فى معروف، يقول المولى ﷻ: ﴿ **الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ اللهُ بَعْضَهُم عَلَى بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِن أَموَالِهِم** ﴾ [النساء: ٣٤].

وعن أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: « **لو كنت آمرًا أحدًا أن يسجد لأحد لأمرت الزوجة أن تسجد لزوجها** »(١)

ويقول النبى ﷺ: « **إذا دعا الرجل زوجته لحاجته فلتأته وإن كانت على التنور**»(٢)

ثانيًا: طاعته، ومن حقه عليها أن تطيعه فى كل ما يطلب منها فيما لا معصية فيه، قال النبى ﷺ: « **إن من حق الزوج على الزوجة إذا أرادها فراودها عن نفسها وهى على ظهر بعير لا تمنعه** »(٣)

وسألت عائشة رضى الله عنها رسول الله ﷺ: « **أى الناس أعظم حقًا على المرأة؟ قال: زوجها، قالت: أى الناس أعظم حقًا على الرجل؟ قال: أمه** »(٤)

وعن أبى هريرة ﷺ قال: سأل النبى ﷺ قيل: يا رسول الله، أى النساء خير؟ قال: « **الذى تسره إذا نظر إليها، وتطيعه إذا أمرها، ولا تخالفه فى نفسها ولا مالها بما يكره** »(٥)

---

(١) أخرجه الترمذى.

(٢) رواه الترمذى والنسائى.

(٣) رواه البخارى ومسلم.

(٤) رواه البزار والحاكم.

(٥) أخرجه النسائى.

ثالثًا: لا تخرج من بيتها إلا بإذنه إلا لضرورة، فإن خرجت من غير ضرورة لعنتها الملائكة حتى ترجع أو تتوب. قال ﷺ لفاطمة رضى الله عنها: « **أى شىء خير للمرأة؟ قالت: ألا ترى رجلاً ولا يراها رجل. فضمها ﷺ وقال: ذرية بعضها من بعض**» واستحسن كلامها[1]

رابعًا: إدخال السرور إلى قلبه: فمن حقه عليها أن تقابله بالسرور والبشر والابتسامة لقول النبى ﷺ: « **خير النساء من إذا نظرت إليها سَرّتك، وإذا أمرتها أطاعتك، وإذا غِبْتَ عنها حفظتك فى مالك وعرضك** ».

خامسًا: من حقه أن يغار عليها لقول النبى ﷺ: « **إن الله يغار والمؤمن يغار، وغيرة الله أن يأتى المرء ما حرم الله** ».

سادسًا: لا تسمح لأحد بالدخول إلى بيتها إلا بإذنه، لقول النبى ﷺ: « **لا يحل لامرأة أن تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه ولا تأذن فى بيته إلا باذنه** ».

سابعًا: ألا يكون عند الزوجة من هو أحسن منه، فقد سألت عائشة رضى الله عنها النبى ﷺ: « **أى الناس أعظم حقًا على المرأة؟ قال: زوجها، قالت: أى الناس أعظم حقًا على الرجل؟ قال: أمه** »[2]

ثامنًا: يفضل الرجل دائمًا المرأة الكتومة التى يصعب عليها، بل يستحيل، أن تفشى سرًا أو تنقل كلامًا سمعته من أحد المتحدثين.

ومن أخطر الأسرار التى تنشرها بعض النساء الحمقاوات - أسرار اللقاء الجنسى دون أن تدرى إحداهن عاقبة ذلك، ولو علمتْ ما فعلتْ. وقد نهى الرسول ﷺ نهيًا جازمًا عن مثل هذا العمل، فروى أحمد بن حنبل عن أسماء بنت يزيد: أنها

---

(١) البزار والدارقطنى.

(٢) رواه البزار والحاكم.

كانت عند الرسول ﷺ والرجال والنساء قعود، فقال: « **لعل رجلاً يخبر ما يفعله بأهله! ولعل امرأة تخبر بما فعلت مع زوجها!** » فأرمَّ القوم[1] فقلت: أى والله يا رسول الله، إنهن ليفعلن! وإنهم ليفعلونه! فقال: « **فلا تفعلوا، إنما ذلك شيطان لقى شيطانة فى طريق فغشيها والناس ينظرون** ».

تاسعًا: أن لا تفخر على الزوج بجمالها أو مالها أو حسبها، وأن لا تزدرى زوجها لقبحه فقد روى أن الأصمعى قال: دخلت البادية، فإذا أنا بامرأة من أحسن الناس وجهًا تحت رجل من أقبح الناس وجهًا، فقلت لها: يا هذه، أترضين لنفسك أن تكونى تحت مثله؟! فقالت: يا هذا، اسكت فقد أسأتَ فى قولك، لعله أحسن فيما بينه وبين خالقه فجعلنى ثوابه، أو لعلنى أسأتُ فيما بينى وبين خالقى فجُعِلَ عقوبتى، أفلا أرضى بما رضى الله لى؟ فأسكتتنى.

عاشرًا: ومن واجبه عليها ألا تفرط فى ماله، بل تحفظه عليه، قال رسول الله ﷺ: « **لا يحل لها أن تطعم من بيته إلا بإذنه إلا الرَّطْب من الطعام الذى يخاف فساده، فإن أطعمت عن رضاه كان لها مثل أجره، وإن أطعمت بغير إذنه كان له الأجر وعليها الوزر** »[2]

الحادى عشر: لا تؤذى زوجها بحال، روى عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ: « **لا تؤذى امرأة زوجها فى الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين: لا تؤذيه قاتلك الله، فإنما هو عندك دخيل يوشك أن يفارقك إلينا** »[3]

---

(١) أرم القوم: صمتوا ولم يجيبوا.

(٢) رواه أبو داود الطيالسى والبيهقى من حديث ابن عمر.

(٣) رواه الترمذى، وقال: حسن غريب.

حقوق الزوجة على زوجها

أولاً: من حقها عليه حسن الخلق معها، واحتمال الأذى منها، وذلك ترحمًا عليها، لقصور عقول النساء عمومًا. قال الله تعالى: ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ [النساء: ١٩]

وقال النبى ﷺ: « **مَنْ صبر على سوء خلق امرأته أعطاه الله من الأجر مثل ما أعطى أيوب على بلائه، ومَنْ صبرت على سوء خلق زوجها أعطاها الله مثل ثواب آسية امرأة فرعون** »[١]

واعلم أن حسن الخلق معها ليس كف الأذى عنها، بل احتمال الأذى منها، والحلم عند طيشها وغضبها اقتداء برسول الله ﷺ فقد كانت أزواجه تراجعنه الكلام، تهجره الواحدة منهن يومًا إلى الليل[٢]

وجرى بين النبى ﷺ وبين عائشة رضى الله عنها حديث حتى أدخلا بينهما أبا بكر ﷺ حكمًا واستشهدوه فقال لها رسول الله ﷺ: « **تكلمين أو أتكلم؟** ».

فقالت: بل تكلم أنت ولا تقل إلا حقًا، فلطمها أبو بكر حتى دمى فوها، وقال: يا عدية نفسها، أو يقول غير الحق؟! فاستجارت برسول الله ﷺ وقعدت خلف ظهره، فقال النبى ﷺ: « **لم ندْعُكَ لهذا، ولا أردنا منك هذا** »[٣]

ثانيًا: الإنفاق عليها من غير إسراف، قال تعالى: ﴿ وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُواْ ﴾ [الأعراف: ٣١]

---

(١) لم أقف له على أصل.

(٢) متفق عليه من حديث عمر فى الحديث الطويل فى قوله تعالى: ﴿ **فإن تظاهروا عليه** ﴾.

(٣) رواه الطبرانى فى الأوسط، والخطيب فى التاريخ من حديث عائشة بسند ضعيف.

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ ﴾ [الإسراء: ٢٩]

قال النبي ﷺ: « **دينار أنفقته في سبيل الله، ودينار أنفقته في رقبة، ودينار تصدقت به على مسكين، ودينار أنفقته على أهلك، أعظمها أجرًا الذي أنفقته على أهلك** ».(١)

وأهم ما يجب عليه مراعاته في الإنفاق أن يطعمها من الحلال، ولا يدخل مداخل السوء لأجلها، فإن ذلك جناية عليها لا مراعاة لها، لقول النبي ﷺ: « **لا يلقى الله أحد بذنب أعظم من جهالة أهله** »(٢)

وقال بعض السلف: إذا أراد الله بعبد شرًا سلط عليه في الدنيا أنيابًا تنهشه. (يعني العيال)

ثالثًا: أن يتعلم الزوج من علم الحيض وأحكامه ما يحترز به الاحتراز الواجب، ويُعلِّم زوجته أحكام الصلاة، وما يقضى منها في الحيض، وما لا يقضى، فإنه أُمر أن يقيها من النار، لقول الله تعالى: ﴿ قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾ [التحريم: ٦]

فعليه أن يلقنها اعتقاد أهل السنة، ويزيل عن قلبها كل بدعة إن استمعت إليها، ويخوفها من الله إن تساهلت في أمر الدين، ويعلمها من أحكام الحيض والاستحاضة ما تحتاج إليه.

رابعًا: العدل إن كان عنده غيرها من الزوجات على المستطاع والقدرة، فإذا خرج إلى سفر، وأراد استصحاب واحدة – قرع بينهن، كذلك كان يفعل رسول الله ﷺ.(٣)

---

(١) رواه مسلم من حديث أبي هريرة.

(٢) ذكره صاحب الفردوس من حديث أبي سعيد، ولم يجده ولده أبو منصور في مسنده.

(٣) متفق عليه من حديث عائشة.

فإن ظلم امرأة بليلتها قضى لها، فإن القضاء واجب عليه.

وقد قال رسول الله ﷺ: « **من كان له امرأتان، فمال إلى إحديهما دون الأخرى (وفي لفظ: ولم يعدل بينهما) جاء يوم القيامة وأحد شقيه مائل** »[1]

وإنما عليه العدل في العطاء والمبيت، وأما في الحب والوقاع فذلك لا يدخل تحت الاختيار، قال الله تعالى: ﴿ **وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ** ﴾ [النساء: ١٢٩]، وكان رسول الله ﷺ يعدل بينهن في العطاء والبيتوتة في الليالي، ويقول: « **اللهم، هذا جهدي فيما أملك، ولا طاقة لي فيما تملك ولا أملك** »[2] يعني الحب.

وقد كانت عائشة رضي الله عنها أحب نسائه إليه، وسائر نسائه يعرفن ذلك. ولكنه ﷺ لحسن عدله وقوته، كان إذا تاقت نفسه إلى واحدة من النساء في غير نوبتها فجامعها. طاف في يومه أو ليلته على سائر نسائه. فمن ذلك ما روى عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ طاف على نسائه في ليلة واحدة.[3]

خامسًا: ومن حقوق الزوجة على زوجها أن يتزين لها، يقول النبي ﷺ: « **اغسلوا ثيابكم، وخذوا من شعوركم، واستاكوا وتزينوا، فإن بني إسرائيل لم يفعلوا ذلك فزنت نساؤهم** ».

سادسًا: ولها الحق أيضًا في أن تغار عليه، فقد كانت عائشة رضي الله عنها تغار على رسول الله ﷺ، وقال رسول الله ﷺ: « **إن الله تعالى يغار، والمؤمن يغار، وغيرة الله تعالى أن يأتي الرجل المؤمن ما حرم عليه** »[4]

---

(١) رواه أصحاب السنن وابن حبان من حديث أبي هريرة. قال أبو داود وابن حبان: (فمال مع إحديهما)، وقال الترمذي: فلم يعدل بينهما.

(٢) رواه أصحاب السنن وابن حبان من حديث عائشة.

(٣) متفق عليه.

(٤) متفق عليه من حديث أبي هريرة، ولم يقل البخاري: « **والمؤمن يغار** ».

والغيرة المعتدلة لا بد منها، وهى محمودة ولكن يجب عدم المبالغة فيها، فإن النبى ﷺ لما قدم من سفره قال قبل دخول المدينة: « **لا تطرقوا النساء ليلاً** » فخالفه رجلان فسبقا فرأى كل واحد فى منزله ما يكره.[1]

وقال النبى ﷺ: « **إن من الغيرة ما يحبه الله، ومنها ما يبغضه الله. ومن الخيلاء ما يحبه الله، ومنها ما يبغضه الله، فأما الغيرة التى يحبها الله: فالغيرة فى الريبة. والغيرة التى يبغضها الله: فالغيرة فى غير ريبة. والاختيال الذى يحبه الله: اختيال الرجل بنفسه عند القتال، وعند الصدقة. والاختيال الذى يبغضه الله: الاختيال فى الباطن** »[2]

سابعًا: يجب أن لا يبالغ الزوج فى الدعابة وحسن الخلق، والموافقة باتباع هواها إلى حد يفسد خلقها ويسقط هيبته عندها، بل يراعى الاعتدال فيه. فلا يدع الهيبة والانقباض مهما رأى منكرًا، ولا يفتح باب المساعدة على المنكرات البتة، بل مهما رأى ما يخالف الشرع والمروءة تنمَّر وامتعض.[3]

قال الحسن: والله، ما أصبح رجل يطيع امرأته فيما تهوى إلا كبَّه الله فى النار.

وقال عمر ﷺ: خالفوا النساء، فإن فى خلافهن البركة.

ومثِّل المرأة على مثال نفسك، إن أرسلت عنانها قليلاً جمحت بك طويلاً. وإن أرخيت عذارها فترا جذبتك ذراعًا. وإن كبحتها وشددت يدك عليها فى محل الشدة ملكتها.

---

(١) رواه أحمد من حديث ابن عمر بسند جيد.

(٢) رواه أبو داود والنسائى وابن حبان من حديث ابن عتيك.

(٣) امتعض: تألم وغضب. وتنمر: تشبه بالنمر فى لونه أو طبعه. ويقال: تنمر لفلان: أى تنكر له وأوعده.

قال الشافعي ﷺ: ثلاثة إن أكرمتهم أهانوك، وإن أهنتهم أكرموك: المرأة والخادم والنبطى[1] أراد به إن محضت الإكرام، ولم تمدح غلظك بلينك وفظاظتك برفقك.

وكانت نساء العرب يُعلِّمْنَ بناتهن اختيار الأزواج وكانت المرأة تقول لابنتها: اختبرى زوجك قبل الإقدام والجراءة عليه، انزعى زج رمحه[2]، فإن سكت فقطّعى اللحم على ترسه[3]، فإن سكت فكسرى العظام بسيفه، فإن سكت فاجعلى الإكاف[4] على ظهره وامتطيه فإنما هو حمارك.

وعلى الجملة، فبالعدل قامت السماوات والأرض، فكل ما جاوز حده انعكس على ضده.

وفى وصية لقمان لابنه: "يا بنى اتق المرأة السوء، فإنها تشيبك قبل الشيب، واتق شرار النساء، فإنهن لا يدعون إلى خير، وكن من خيارهن على حذر".

ثامنًا: ومن حقها عليه الكسوة، لقوله تعالى: ﴿ **وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ** ﴾ [البقرة: ٢٣٣] وعن حكيم بن معاوية القشيرى عن أبيه أنه قال: قلت يا رسول الله ما حق زوجة أحدنا عليه؟ قال: « **أن تطعمها إذا طَعِمْتَ، وتكسوها إذا اكتسيت، ولا تضرب الوجه ولا تُقبِّح ولا تهجر إلا فى البيت** »[5]

---

(١) الأنباط: شعب سامٍ، كانت له دولة فى شمال شبه الجزيرة العربية، وعاصمتهم « سلع » وتعرف اليوم بـ « البترا ».

(٢) الزج: الحديدة فى أسفل الرمح.

(٣) الترس: ما كان يتوقى به فى الحرب.

(٤) الأكاف: البرذعة والجمع: أكف.

(٥) رواه أبو داود وابن حبان فى صحيحه.

تاسعًا: ومن حقها عليه السكن الشرعى من غير ضرر ولا ضرار لقول الله عز وجـل: ﴿ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ ﴾ [الطلاق: ٦].

عاشرًا: أن لا يمنعها من زيارة أبويها فى الأوقات المناسبة.

الحادى عشر: توفر أسباب الراحة والمزاح معها، فإن هذا يجلب السرور معها، فهذا الرسول ﷺ يتسابق مع عائشة فسبقته يومًا وسبقها يومًا وقال: هذه بتلك.

ويقول ﷺ: « **أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا وخياركم خياركم لنسائهم** »(١)

(١) رواه الترمذى وابن حبان.

الأم ومكانتها فى الإسلام:

من الثابت لدى المؤرخين أن شرائع الهند والصين واليونان والرومان واليهود والعرب، أجمعت كلها على تقديم الأب على الأم فى توصية الأبناء.

فشريعة البراهمة، وإن قالت: احترم أباك وأمك، غير أنها تضيف إلى ذلك أن احترام الوالد هو وحده الذى يفتح لك أبواب السماء، ومثلها شريعة بوذا، وكذلك شريعة اليونان والرومان، فإنهما وإن كانتا تفتحان للمرأة بالأمومة باب الخلاص من العبودية، إلا أنهما كانتا تقدمان الأب عليها والاحترام. وهكذا الفرس، وعرب الجاهلية فضلاً عن اليهود[1]

وبقيت الأم، الأم الأوروبية تكابد وتعانى أشد مما تعانيه الأمهات الأخريات فى تلك الشرائع، و لم تتذوق طعم الحرية، إلا بعد قيام الثورة اللوثرية (١٤٨٣-١٥٤٦م) كما أكد ذلك بعض الباحثين[2]

وما زال يعتبر – فى نظر الكثيرين – ما جاء به لوثر من إصلاحات فى هذا المجال[3] رغم قلة ذلك وبساطته حجر الأساس الذى شُيِّدت عليه حقوق المرأة الغربية فيما بعد.

ومما هو جدير بالذكر، فإن هناك قسمًا من الباحثين يرجعون مصدر الإصلاحات اللوثرية فى هذا الحقل – والحقول الأخرى – إلى الأفكار والتعاليم

(١) محمد جميل بيهم، المرأة فى الإسلام وفى الحضارة الغربية الحديثة، ص٦٢.

(٢) محمد بيهم، المرجع السابق، ص١١٣.

(٣) وضع لوثر فى مرتبة محافظة وسطى، ودعا إلى تربيتها تربية منزلية وأوجب عليها الحفاظ على أخلاقها الفطرية كالحياء والخجل كما دعا إلى الاقتصار فى تعليمها على العلوم البسيطة وإدارة المنزل. ونادى بإبطال التبتل، ورخص بقبول الطلاق، و لم يعارض تعدد الزوجات، وأفتى به على سبيل الاستثناء، انظر المرجع السابق، ص١١٤.

الإسلامية التى انتشرت آنـذاك فـى تلـك البـلاد، عـن طريـق أسـبانيا وشمـال أفريقيـا، فجوستاف لوبون يؤكد على أنـه: « مـن العـرب استعاد سـكان أوروبـا مـع شـرائع الفروسـية احـترام المـرأة اللطيـف الـذى تعلمـه تلـك الشـرائع. وعلـى ذلـــك ليســت المسيحية - بما فيها اللوثرية حسبما هو معروف علـى وجـه عـام - هـى التـى رفعـت المرأة من مقامها الوضيع الذى استبقوها فيه حتى ذلك الحين، إنما هـو الإسـلام الـذى رفعها، فإن أشراف الشطر الأول من القرون الوسطى، علـى تعصبهـم للمسـيحية، مـا كانوا يحفظون أقل احترام للجنس اللطيـف يدلنـا علـى ذلـك إلقـاء نظـرة إلى تواريخنـا القديمة، أجل فقبل أن يعلم العـرب المسـيحيين معاشـرة المـرأة باحـترام، فـإن رجالاتنـا الحربيين القساة فى عصر الإقطاعات كانوا يعاملونها معاملة صارمة[١]

وقد عمل الإسلام منذ البداية، على استحداث الحقـوق التـى لا يمكـن لـلأم أن تستكمل مكانتها إلا بها، كما عمل كذلك على إصباغ الشرعية علـى تلـك الحقـوق والامتيازات التى كانت قد حظيت بها قبل مجيء الإسلام.

فهو قد ثبت لها بعد الزواج حق الاحتفاظ باسمها واسم عائلتها و لم يسمح لأى طرف، سواء كان الزوج أو الدولة، أن يعتدى على هذا الحق دون رضاها[٢]

.بمعنى أن الإسلام لم يعتبر المرأة شيئًا من أشياء الرجل ولا متاعًا مملوكًـا لـلزوج، وإنما اعترف لها باستقلالية معتبرة ضمـن إطـار الحيـاة الزوجيـة، اسـتقلالية فـى الاسـم والشخصية، واستقلالية فى تحمل المسئولية[٣]

---

(١) محمد جميل بيهم، مرجع سابق، ص٩٩.

(٢) مبشر الطرازى الحسينى، المرأة وحقوقها فى الإسلام، ص١٢٦.

(٣) قال رسول الله ﷺ: « **كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيتـه، والأمـير راع، والرجـل راع على أهل بيته، والمرأة راعية على بيت زوجها وولده، فكلكـم راع مسـئول عـن رعيتـه** ». فتح البارى، جـ١١ ط عام ١٩٥٩، ص٢١١.

وقد أحاط الإسلام كذلك مكانة الأم بسوار من الأحكام والتعاليم حفاظًا عليها فى فترات الضعف، من عبث الزوج فى لحظات الغضب وساعات القوة. ولعل الطلاق من الأمثلة البارزة على هذا.

فرغم أن الإسلام قد جعل الطلاق بيد الرجل، إلا أنه حمى المرأة من تعسف الزوج فى استعمال هذا الحق، وبيَّن ابتداء أن أبغض الحلال إلى الله الطلاق[1]

وقد ذهب الإسلام فى احترامه لمشاعر المرأة، أنه منع الرجل من أن يجمع تحته بين المرأة وأختها، والمرأة وخالتها، والمرأة وعمتها، رغم أنه يبيح من حيث المبدأ تعدد الزوجات.

فعن أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ: « **نهى عن أربع نسوة أن يجمع بينهن: المرأة وعمتها، والمرأة وخالتها** » رواه مسلم.

ويروى أن رسول الله ﷺ قال أيضًا: « **لا تنكح المرأة على عمتها ولا على خالتها ولا على ابنة أخيها ولا على ابنة أختها، فإنكم إن فعلتم ذلك قطعتم أرحامكم**».

وقد استثنى الإسلام هذه الفئة من النسوة، رفعًا للحرج عن الزوجة، وحماية لمشاعرها من أن تتبدل أو تتحول تجاه أقرب الناس إليها، كما أن الإسلام حماها من الأفعال الضارة بمشاعرها، وجعل عقاب من يمسُّ عرضها بشىء من ذلك، أن يجلد أو يضرب. وأن لا تقبل شهادته. وهو عند الله من الفاسقين. قال تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحصَنَاتِ الغَافِلاتِ الْمُؤمِنَاتِ لُعِنُواْ فِى الدُّنيَا وَالأَخِرَةِ وَلَهُم عَذَابٌ عَظِيمٌ** ﴾ [النور: ٢٣].

و لم يسمح كذلك للابن بأن يؤذى مشاعر والديه، أو أن يمسَّ كرامتهما بالشتم أو غيره، وبيَّن الرسول ﷺ أن من أكبر الكبائر عند الله أن يتسبب المسلم فى سب

---

(١) إشارة إلى حديث رسول الله ﷺ: « **أبغض الحلال إلى الله الطلاق** ».

والديه، حتى ولو جرى ذلك على لسان الآخرين. قال : « **من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه، قيل: يا رسول الله وكيف يلعن الرجل والديه؟ قال: يسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه** »[1]

ويتدرج الإسلام فى احترامه لمشاعر الأم، ويذهب فى ذلك إلى أرقى الرتب فلا يتجاهلها ولا يقسو عليها، حتى أثناء تأدية العبادات لله تعالى.

فالرسول ﷺ كان عندما يسمع بكاء الصبى وهو فى إمامته الناس يتجوز فى صلاته، مراعاة لمشاعر أمه، وشفقة عليها من وجدها عليه[2]

وبعد أن قام الإسلام هذا المقام الرفيع حول مشاعر الأم. قدم لها تشجيعًا على ممارسة هذا الدور المهم والخطير - دور الأمومة - ما تقر به عينها ويهنأ به فؤادها.

فكافأها وهى على عتبة هذه المرحلة وقبل أن تصبح أمًا بالمعنى الكامل للأمومة، بأن جعل لها أثناء حملها أجرًا يعادل أجر المرابط فى سبيل الله، وإن ماتت فيما بين الحمل والولادة والفصال فلها أجر شهيد[3]، وإذا أصابها الطلق لم يعلم أهل السماء والأرض ما أخفى لها من قرة أعين.

---

(١) فتح البارى بشرح صحيح البخارى، جـ١٠، ص٣٣١.

(٢) عن أنس بن مالك ﷺ أن النبى ﷺ قال: « **إنى لأدخل فى الصلاة وأنا أريد أن أطيلها فأسمع بكاء الصبى فأتجوز فى صلاتى مما أعلم من شدة وجد - حزن - أمه من بكائه** » رواه البخارى ومسلم.

(٣) قال رسول الله ﷺ: « **المرأة فى حملها إلى وضعها إلى فصالها كالمرابط فى سبيل الله، فإن ماتت فيما بين ذلك فلها أجر الشهيد** » رواه الطبرانى فى الكبير.

لهذا فإن الإسلام عندما يأمر ببرِّ الوالدين[1] ثم يخص الأم بما لم يخص[2] الأب، إنما يكون بذلك منطلقًا من التقييم العادل لتضحيات كل منهما، لا من محاباته لطرف على حساب الآخر.

ولذلك أوصى الإسلام بالأم ورفع منزلتها العالية، فيقول جل وعلا: ﴿ **وَقَضَى رَبُّكَ أَلا تَعْبُدُواْ إِلا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا** ﴾ [الإسراء: ٢٣].

وبر الوالدين: الإحسان إليهما، والقيام بحقوقهما، والتزام طاعتهما، واجتناب إساءتهما، وفعل ما يرضيهما، والبر حق لازم إلا ما حرم حلالاً، أو أحل حرامًا، فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

كما أن الإسلام لم يخير الأبناء في بر الوالدين وإنما جعل ذلك واجبًا عليهم لا مناص لهم من تأديته والقيام به، قال رسول الله ﷺ: « **بر أمك وأباك وأختك، وأخاك، ثم أدناك فأدناك** ».[3]

---

(١) قال رسول الله ﷺ: « **من أصبح مرضيًا لأبويه أصبح له بابان مفتوحان إلى الجنة، ومن أمسى فمثل ذلك وإن كان واحدًا فواحد، وإن ظلمًا وإن ظلمًا وإن ظلمًا، ومن أصبح مُسْخطًا لأبويه أصبح له بابان مفتوحان إلى النار ومن أمسى فمثل ذلك، وإن كان واحدًا، فواحدًا، وإن ظلمًا، وإن ظلمًا** » أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، ورواه البخاري في الأدب المفرد.

(٢) عن أبي هريرة ﷺ قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: « **من أحق الناس بحسن صحبتي؟ قال: أمك. قال: ثم من؟ قال: ثم أمك. قال: ثم من؟ قال: ثم أمك. قال: ثم من؟ قال: أبوك** » رواه مسلم، م٨/١٢، المختصر، ص٤٦٨. وفتح الباري، جـ١٠، ص٣٣٠. حتى أن أبا هريرة لم يكن يحج - حج تطوع - حتى ماتت أمه لصحبتها. رواه مسلم، م٥/٩٤، المختصر، ص٢٣٩.

(٣) رواه النسائي والحاكم وأبو داود وأحمد.

وقد سئل النبى ﷺ: أىُّ العمل أحبُّ إلى الله عز وجل؟ فقال: « **الصلاة فى وقتها** ». قال: ثم أى؟ قال: « **بر الوالدين** ». قال: ثم أى؟ قال: « **الجهاد فى سبيل الله** ».

فَبِرُّ الوالدين جاء بين فريضتين هامتين، الصلاة والجهاد، وموقع البر بين عبادتين متماثلتين، إشارة واضحة إلى مساواته معهما فى المرتبة، ومكافأته لهما فى الجزاء.

وفى حالات كثيرة، قدم الإسلام بر الأم على أخص العبادات، فجعل طاعتها على الابن واجبة حتى وهو واقف فى الصلاة، وخاشع بين يدى الله. و لم يَجُزْ ذلك للأب[1] بل إنه جعل ذلك أوجب عليه فى العبادة بمفهومها الشامل لا من الصلاة وحدها[2]

كما أن الإسلام أوجب على الأبناء أن يصلوا الأمهات وإن قطعنهم[3] وأن يكرموهن حتى وإن ظلمنهم. و لم يجعل لهم فيما عدا هذا المسلك أى مبرر.

واهتمام الإسلام بالأمهات لم يقف عند حد حضورهن، وإنما تعداه إلى غيابهن وما بعد مماتهن.

فطالب بالترحم عليهن، والاستغفار لهن، وإنفاذ عهدهن، وصلة الرحم التى لا توصل إلا بهن، والتصدق عليهن.

---

(١) روى محمد بن المنكدر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: « **إذا دعتك أمك فى الصلاة فأجبها، وإن دعاك أبوك فلا تُجبه** » إرشاد السارى لشرح صحيح البخارى، العسقلانى، حـ٢، ص٣٥٤.

(٢) انظر قصة (العابد)، (جريج) مع أمه كما رواها الإمام مسلم، م٨-(٤-٥)، المختصر، ص٤٦٩.

(٣) عن جبير بن مطعم ﷺ أن النبى ﷺ قال: « **لا يدخل الجنة قاطع** » فتح البارى، حـ١٠، ص٣٤٠.

أما الصفات الطيبة للعيش، التى لا بد من مراعاتها فى المرأة ليدوم العقد وتتوفر مقاصده، والتى إذا ساروا على نهجها كان الزواج فى غاية التفاهم والمحبة والوفاق، وهذه الصفات هى:

١ - أن تكون صالحة ذات دين:

فهذا هو الأصل، وبه ينبغى أن يقع الاختيار؛ فإنها إن كانت ضعيفة الدين فى صيانة نفسها وفرجها - أزرت زوجها، وسَوَّدتْ بين الناس وجهه، وشوشت الغيرة قلبه، وتنغص بذلك عيشه، فإن سلك سبيل الحمية والغيرة لم يزل فى بلاء ومحنة، وإن سلك سبيل التساهل كان متهاونًا بدينه وعِرْضه، ومنسوبًا إلى قلة الحمية.

لذلك كان أول أساس وضعه الإسلام لاختيار شريكة العمر، أن تكون صاحبة دين، ذلك لأن الدين يعصم المرأة من الوقوع فى المخالفات، ويبعدها عن المحرمات، فالمرأة المتدينة بعيدة عن كل ما يغضب الرب، ويدنس ساحة الزوج.

فها هو ذا رسول الإسلام ﷺ، يبين لك أصناف الناس فى اختيار المرأة ثم يدلك على الصواب فيقول: « **تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولجمالها، ولحسبها، ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك** »(١)

فإذا صرفت نظرك عن الدين، ورُحْتَ تنشد الجمال وحده أو الحسب والنسب، والجاه والمال، فاعلم أنك مغبون، قاصرة همتك، يقول النبى ﷺ: « **من تزوج امرأة لعزها لم يزده الله إلا ذلاً، ومن تزوجها لمالها لم يزده الله إلا فقرًا، ومن**

(١) رواه أحمد فى المسند ٤٢٨/١، والبخارى انظر فتح البارى ١٣٢/٩، ومسلم ١٧٥/٤ باب استحباب نكاح ذات الدين، ومختصر أبى داود وهو حديث حسن صحيح.

تزوجها لحسبها لم يزده إلا دناءة، ومن تزوج امرأة لم يرد بها إلا أن يغضَّ بصره، ويحصن فرجه، أو يصل رحمه بارك الله له فيها، وبارك لها فيه »(1)

وينصح النبى ﷺ المسلم فى اختيار شريكة حياته فيقول ﷺ: « **لا تزوجوا النساء لحسنهن فعسى حسنهن أن يرديهن، ولا تزوجوهن لأموالهن فعسى أموالهن أن تطغيهن، ولكن تزوجوهن على الدين ولأمةٌ سوداء خرماء**(2) **ذات دين أفضل »**(3)

أما إذا كان مع الدين جمال، ومال وحسب فبالأولى، ولكن مع ذلك يستهدف الدين أولاً.

وقد كان أسلافنا الصالحون حريصين على ابتغاء ذات الدين، مهما تكن عاطلاً من حلية الحسب والنسب، والمال والجمال.

وآية ذلك، صنيع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ فى إيثاره بائعة لبن زوجة لابنه عاصم، وقد كان ﷺ يتمنى أن تكون زوجة له لو كانت به حاجة إلى زواج، على ما روى الثقات من المؤرخين وفى طليعتهم الإمام ابن الجوزى فى تاريخه لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب حين يقول: روى ابن زيد عن جده أسلم قال: بينما كنت مع عمر بن الخطاب وهو يعسُّ(4) بالمدينة إذا هو قد أعيا(5) فاتكأ على جانب جدار فى جوف الليل فإذا امرأة تقول لابنتها: يا ابنتاه قومى إلى اللبن فامذقيه(6) بالماء. فقالت لها ابنتها: يا أمتاه أما علمت ما كان من عزمة أمير المؤمنين اليوم، ألا يشاب

(1) رواه أبو نعيم فى الحلية ٢٤٥/٥ وقال: غريب من حديث إبراهيم عن أنس.

(2) الخرماء: هى مقطوعة الأنف مثقوبة الأذن.

(3) رواه ابن ماجه ١٨٥٩، وكذلك الطبرانى والبيهقى.

(4) عسَّ: أى طاف الليل يكشف عن أهل الريبة.

(5) أعيا: أصابه الإعياء وهو التعب من كثرة المشى.

(6) امذقيه: أى اخلطيه.

اللبن بالماء. فقالت الأم: قومى إلى اللبن فامذقيه بالماء فإنك فى موضع لا يراك فيه عمر ولا منادى عمر. فقالت البنت لأمها: والله مـا كنـت لأطيعـه علانيـة وأعصيـه سـرًا. وكان أمير المؤمنين – فى استناده إلى الجدار – يسمع هذا الحوار فالتفت إلىَّ يقول: يـا أسلم، ضع على هذا الباب علامة، ثـم مضـى أمـير المؤمنـين فـى عسـه. فلمـا أصبـح، نادانى: يا أسلم، امض إلى البيت الذى وضعتَ عليه العلامـة فـانظر مـن القائلـة ومـن المقول لها؟ انظر هل لهما من رجل؟ يقول أسلم: فمضيت، فأتيت الموضع، فـإذا الابنـة لا زوج لها وهى تقيم مع أمها وليـس معهمـا رجـل فرجعـت إلى أمـير المؤمنـين عمـر فأخبرته الخبر فدعا إليه أولاده فجمعهم حوله ثم قال لهـم: هـل منكـم مـن يحتـاج إلى امرأة فأزوجه؟ لو كان بأبيكم حركة إلى النساء ما سبقه أحد منكم إلى الـزواج بهـذه المرأة التى أعرف نبأها والتى أحب لأحدكم أن يتزوجها. فقال عاصم: يـا أبتـاه تعلـم أن ليس لى زوجة فأنا أحق بزواجها، فبعث أمير المؤمنين من يخطـب بنـت بائعـة اللـبن لابن أمير المؤمنين، فزوَّجه لها فولدت له بنتًا تزوجها عبد العزيز بن مروان، فولدت لـه خامس الخلفاء الراشدين الخليفة الزاهد عمر بن عبد العزيز رضوان الله عليهم أجمعين.

فهذا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الذى لم يكن فوق سـلطانه سـلطان إلا الله رب العالمين، كان يتمنى أن لو تزوج ابنة بائعة اللبن، لأنهـا كـانت ذات ديـن يكفهـا عن غش اللبن غير أنه لما لم يجد كفئًا للزواج آثر بهـذه البنـت ذات الديـن ابنـه، تأدبًـا بأدب رسول الله فى حديثه الشريف « **فاظفر بذات الدين تربت يداك** »[1]

٢ – أن تكون ذات خلق:

الحقيقة أن هذه الصفة مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بالصفة الأولى التى هى الدين، ذلك أن المتدينة لا بد وأن تكون صاحبة خلق، فإن دينها سيمنعها من فحش القول، وبذاءة

---

(١) تربت يداك: أى وصلتا إلى التراب من شدة الفقر إن لم تظفر بذات الدين، والمقصود به الحث وإظهار العجب.

اللسان، وسوء المنطق وثرثرة الكلام، وعلى كُل فحُسْن الخلق أساس قويم ومنهج قويم فى البحث عن المرأة، وصدق لقمان الحكيم عندما قال لولده: يا بنى اتق المرأة السوء فإنها تشيبك قبل المشيب. يا بنى، استعذ بالله من شرار النساء، واسأله خيارهن.

وحكى أن السائح الأزدى لقى إلياس عليه السلام فى سياحته، فأمره بالتزوج، ونهاه عن التبتل. ثم قال: لا تنكح أربعًا: المختلعة، والمبارية، والعاهرة، والناشز.

فأما المختلعة: فهى التى تطلب الخلع[1] كل ساعة من غير سبب.

والمبارية: المباهية بغيرها، المفاخرة بأسباب الدنيا.

والعاهرة: الفاسقة التى تعرف بخليل وخدن، وهى التى قال الله تعالى: ﴿ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ ﴾ [النساء: ٢٥][2]

والناشز: التى تعلو على زوجها بالفعال والمقال، والنشز: العالى من الأرض.

وكان على ﷺ يقول: شر خصال الرجال خير خصال النساء: البخل، والزهو والجبن. فإن المرأة إذا كانت بخيلة حفظت مالها ومال زوجها، وإذا كانت مزهوة استنكفت[3] أن تكلم كل أحد بكلام لين مريب، وإذا كانت جبانة فرقت[4] من كل شىء، فلم تخرج من بيتها، واتقت مواضع التهمة خيفة من زوجها.

---

(١) الخلع: هو أن يطلق الرجل زوجته على فدية منها.

(٢) والمعنى: ولا زانيات سرًا، والاخدان الأخلاء فى السر، جمع خدن.

(٣) استنكفت: أنفت وامتنعت.

(٤) فرقت: جزعت واشتد خوفها.

٣ - أن تكون بكرًا:

من توجيهات الإسلام الرشيدة فى اختيار الزوجة، تفضيل المرأة البكر على المرأة الثيب[١] لحكم بالغة، وفوائد عظيمة.

فمن هذه الفوائد حماية الأسرة مما ينغص عيشها، ويوقعها فى حبائل الخصومات، وينشر فى أجوائها ضباب المشكلات والعداوات، ولأن طبع الرجل دائمًا يألف الجديد، وينفر من امرأة مسها رجل قبله، ولهذا قال النبى ﷺ لصاحبه الجليل جابر بن عبد الله عندما علم أنه تزوج ثيبًا: « **هلا بكرًا تلاعبك وتلاعبها** »[٢] فعلل الصاحب الجليل زواجه بالثيب بأن أباه قد مات وترك له أخوات صغيرات يحتجن إلى الرعاية والعناية، وأن الثيب فى هذه الحالة أقدر على رعاية البنت، ولولا هذا الذى قدره الله وقضاه لكانت بكرًا، ومن فوائد الزواج بالبكر، أنها تجعل كل حبها لهذا الذى اختارها من بين آلاف النساء، وما الحب إلا للحبيب الأول، ثم إنها لم تجرب الرجال قبل فلا شك أنها ستمنح من يتزوج بها كل ما تملك من مودة وحنان.

وقد ألمح النبى ﷺ عن بعض الحكم بالزواج بالبكر، فقال ﷺ فيما رواه ابن ماجه والبيهقى: « **عليكم بالأبكار فإنهن أعذب أفواهًا، وأنتق أرحامًا، وأقل خبًا وأرضى باليسير** »[٣]

---

(١) المرأة الثيب: هى المرأة التى سبق لها الزواج سواء كانت مطلقة أو أرملة.

(٢) رواه البخارى فى صحيحه بلفظ « **هلا جارية تلاعبك وتلاعبها** » انظر حاشية السندى على البخارى ص٢٤ جـ٣، ورواه مسلم ١٧٦٤، وابن ماجه رقم ١٨٦٠، والنسائى ٦/٦١، ومختصر أبى داود رقم ١٩٦٤ بلفظ «**هلا بكرًا تلاعبك وتلاعبها وتضاحكك وتضاحكها**».

(٣) المقصود بعذوبة الأفواه: طيب الكلام، ونتق الأرحام: كثرة الأولاد، وأقل خبًا: أقل مكرًا وخديعة.

فلا غرابة أن ترى عائشة رضى الله عنها قد وضحت لرسول الله ﷺ كل هذه المعانى، لما قالت للرسول ﷺ - فيما رواه البخارى -: يا رسول الله أرأيت لو نزلت واديًا فيه شجرة قد أكل منها، وشجرة لم يؤكل منها، فى أى منها كنت تُرتِعُ بعيرك؟ قال ﷺ: فى التى لم يُرتع منها، قالت: فأنا هى.

٤ - أن تكون ولودا:

من الصفات التى وضعها الإسلام فى الزوجة الصالحة أن تكون ولودًا، وتعرف بشيئين:

١ - سلامة جسدها من الأمراض التى تمنع الحمل، ويرجع فى هذا إلى الأطباء المتخصصين، الذين هم أهل الذكر فى هذا الشأن.

٢ - أن ننظر إلى حال أمها، وعائلتها، وأخواتها المتزوجات، فإن كُنَّ من الصنف الولود، فهى ولود فى الغالب - إذا أراد الله - ذلك أن للوراثة من الأدوار ما لا يخفى، ومن أجل ذلك أمر المصطفى ﷺ بالبحث عن المرأة الولود.

فعن أنس قال: كان رسول الله ﷺ يأمر بالباءة، وينهى عن التبتل نهيًا شديدًا ويقول: « **تزوجوا الودود الولود فإنى مكاثر بكم الأنبياء يوم القيامة** »(١)

وعن معقل بن يسار قال: جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال: « **إنى أصبت امرأة ذات حُسْن وجمال، وإنها لا تلد أفأتزوجها؟ قال: لا، ثم أتاه الثانية فنهاه، ثم أتاه الثالثة فقال: تزوجوا الودود الولود فإنى مكاثر بكم الأمم** »(٢)

---

(١) رواه أحمد فى المسند (٣/١٥٨، ٢٤٥) وابن ماجه فى سننه رقم ١٨٦٣، والطبرانى فى الأوسط ورواه البيهقى (٧/٨١، ٨٢)، انظر مختصر أبى داود رقم ١٩٦٦.

(٢) رواه أبو داود انظر مختصر أبى داود رقم ١٩٦٦، والنسائى ٦/٦٥، والحاكم ٢/١٦٢.

٥ – أن تكون نسيبة:

أى تكون من أهل بيت الدين والصلاح، لأنها ستربى بناتها وبنيها، فإذا لم تكن مؤدبة لم تحسن التأديب والتربية، ولذلك قال ﷺ: « **إياكم وخضراء الدمن، فقيل: ما خضراء الدمن؟ قال: المرأة الحسناء فى المنبت السوء** ».

وقال ﷺ: « **تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس** »(١)

وتحقيقًا لهذا الاختيار أجاب عمر بن الخطاب ﷺ، عن سؤال لأحد الأبناء لما سأله ما حق الولد على أبيه، بقوله: « **أن يَنْقى أمه، ويحسن اسمه، ويعلمه القرآن** ».

وهذا الانتقاء الذى وَجَّه إليه رسول الله ﷺ، يعد من أعظم الحقائق العلمية، والنظريات التربوية فى العصر الحديث. فعلم الوراثة أثبت أن الطفل يكتسب صفات أبويه الخلقية والجسمية والعقلية، منذ الولادة، فعندما يكون انتقاء الزوج، أو اختيار الزوجة على أساس الأصل والشرف والصلاح، فلا شك أن الأولاد ينشئون على خير من العفة والطهر والاستقامة، وعندما يجتمع فى الولد عامل الوراثة الصالحة، وعامل التربية الفاضلة، يصل الولد إلى القمة فى الدين والأخلاق، ويكون مضرب المثل فى التقوى والفضيلة.

٦ – أن لا تكون من أقارب الزوج:

لأن ذلك يقلل الشهوة، قال رسول الله ﷺ: « **لا تنكحوا القرابة القريبة فإن الولد يخلق ضاويًا** »(٢) أى نحيفًا وذلك لتأثيره فى إضعاف الشهوة، فإن الشهوة إنما تنبعث بقوة الإحساس بالنظر واللمس. وإنما يقوى الإحساس بالأمر الغريب الجديد،

---

(١) رواه ابن ماجه والديلمى.

(٢) قال ابن الصلاح: لم أجد له أصلاً معتمدًا قلت: إنما يعرف من قول عمر أنه قال لآل السائب: قد أضويتم فأنكحوا فى النوابع، رواه إبراهيم الحربى فى غريب الحديث، وقال معناه: تزوجوا الغرائب.

فأما المعهود الذى دام النظر إليه مدة، فإنه يضعف الحس عن تمام إدراكه والتأثير به، ولا تنبعث به الشهوة.

تلكم هى أهم مبادىء الزواج وأهم ارتباطاته بقضايا التربية، فالإسلام يعالج تربية الأفراد من تكوين الخلية الأولى للأسرة، يعالجها بالزواج لكونه يلبى حاجة الفطرة ويساير أشواق الحياة، ولكونه يلحق نسب الأبناء بآبائهم، ويحرر المجتمع من الأمراض الفتاكة والانحلال الخلقى.

ولكونه يقوم على أسس متينة وقواعد عملية صحيحة فى اختيار شريك الحياة والتى من أهمها الاختيار على أساس الدين، والخلق، وأن تكون بكرًا، وأن تكون ولودًا، وأن تكون نسيبة، وأن لا تكون من أقارب الزوج.

١ - التبرج.

٢ - الاختلاط.

٣ - التدخين.

٤ - الخُلْطة الفاسدة ورفاق السوء.

٥ - مشاهدة أفلام الجنس والجريمة.

٦ - سوء معاملة الأبوين للفتاة.

٧ - اليُتْم.

٨ - إيثار الأولاد على البنات.

٩ - المشاجرات الزوجية أمام الأبناء.

١٠ - الطلاق.

١١ - الإثارات الجنسية.

١ - التبرج:

هو أن تظهر المرأة للرجال الأجانب الذين ليسوا من محارمها ما يوجب عليها الشرع أن تستره من زينتها ومحاسنها، فالتبرج إظهار المرأة زينتها ومحاسنها للرجال الأجانب الذين ليسوا من محارمها، فهو التكشف وإظهار زينة من المرأة ومفاتنها كحليها وذراعيها وساقيها وصدرها وعنقها ووجهها.

أسباب التبرج والاختلاط:

للتبرج والاختلاط أسباب كثيرة منها:

١ - ضعف الإيمان فى النفوس فالإيمان الصادق إذا تمكن فى القلب ظهرت آثاره على الجوارح فيتقيد المتصف به بأوامر الله ونواهيه، وإذا ضعف الإيمان فى النفوس استحسنت القبيح واستقبحت الحسن وصار المعروف عندها منكرًا والمنكر معروفًا.

٢ - قلة العلم الشرعى وظهور الجهل وقلة العلماء العاملين بعلمهم الذين يحملون القدوة الحسنة لمجتمعاتهم وكثرة الجهال الذين يحملون القدوة السيئة لهم.

٣ - سوء التربية والتوجيه والتعليم أولاً من جهة الآباء لجهلهم وغفلتهم أو استهتارهم، وثانيًا من جهة المدرسة التى لا تضم الموجهين الأكفاء دينًا وعلمًا وخلقًا وسلوكًا فى الرجال والنساء.

٤ - وسائل الدعاية والنشر من الصحف والمجلات والإذاعات المشجعة على التبرج والسفور والاختلاط.

٥ - نظرة أكثر الناس إلى أوربا وأمريكا وأنها فى نظرهم المثل الأعلى فى الحضارة والتقدم فيحاولون تقليدهم فى كل شىء، ويظنون أن الأمة إذا تبرجت واختلطت وانحلت صارت قوية مثل أوربا وأمريكا، وما علموا أن القوة لله جميعًا: ﴿ **إِنَّمَآ أَمْرُهُ إِذَآ أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ** ﴾ [يس: ٨٢].

وفى قصص الأمم الماضية فى نجاة المؤمنين وهلاك الكافرين فى القرآن لنا عظة وعبرة حيث أهلكهم الله فى الدنيا وأعد لهم عذاب النار فى الآخرة لما كفروا به وعصوا رسله ولنتأمل قوله تعالى: ﴿ **لا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُواْ فِى الْبِلادِ ۞ مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ** ﴾ [آل عمران: ١٩٦، ١٩٧].

فحذار من التقليد الأعمى، حذار من تقليد الغربيين والشرقيين من الكفرة والمشركين أعداء الله ورسوله وكتابه ودينه وأعداء المسلمين.

لقد خلعت الفتاة فى هذه الأيام ثياب الفضيلة، وجرت وراء الأزياء الفاضحة التى صنعها لها أعداء الإسلام وأحباء الرذيلة، فقليل من الفتيات المسلمات من يلتزمن بمنهج الإسلام وأوامر القرآن، وكثيرات يضعْنَ أصابعهن فى آذانهن عندما يستمعن إلى نداء السماء جريًا وراء حضارة فارغة من الفضائل، خاوية من الخصال النبيلة.

لقد كثرت النداءات فى هذه الأيام من الأفواه الآثمة والأقلام السافلة المأجورة بأصوات عالية مطالبة الملتزمات من الفتيات بخلع الحجاب، لأنه لا يتفق مع العصر الحاضر الذى نعيش فيه، بل إنه يعتبر فى نظرهم تخلفًا مشينًا ورجعية مؤسفة، والمصيبة الكبرى أنهم يتوهمون أن حجاب المرأة نظام لا وجود له إلا فى شريعة الإسلام وأن الإسلام هو الدين الذى قرر حبس المرأة داخل هذه الخيمة المنفردة.

إن عيب هؤلاء الناس أنهم يتكلمون دون وعى أو بغير أدلة تثبت صحة ما يقولونه، وما أصدق تعبير القرآن الكريم عندما قال: ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِى اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ** ﴾ [الحج: ٨].

والحق الذى يشهد به تاريخ الأمم، أن الإسلام لم يكن وحده هو مبتكر الحجاب ومشرعه، بل كان موجودًا قبله فى التشريعات الوضعية وفى الأديان السماوية، فهو موجود فى القبائل البدائية. ففى قبائل الباجندا فى أوغندا كان يحرم على أم الزوجة دخول بيت بنتها والحديث مع زوجها، وإذا تقابلا فى الطريق تنحَّتْ وغطَّتْ رأسها بثوبها، فإن لم يكن الثوب كافيًا جلست القرفصاء وأخفت عينيها وجزءًا من وجهها براحتيها.

وعُرِفَ الحجاب عند العبرانيين[1]، وظل معروفًا إلى ما بعد عهد إبراهيم الخليل عليه السلام بل إلى أن ظهرت اليهودية والنصرانية، وقد تكررت الاشارة إليه وإلى البرقع فى غير موضع من كتب العهد القديم، والعهد الجديد.

وفى الأصحاح الثالث من سفر أشعيا، أن الله سيعاقب بنات صهيون على تبرجهن والمباهاة برنين خلاخيلهن.

فحقيقة الأمر أن الإسلام لم يكن بدعًا فى فرض الحجاب على المرأة المسلمة، وإن كان الحجاب فى القديم عادة فلا ريب أن الإسلام أصلح به أمر المرأة وجعله أدباً خلقيًا هدفه منع الغواية، والمحافظة على الحرمات.

وقد أشارت إحصائيات الولايات المتحدة عام ١٩٧٧ أنه فى عام ١٩٧٦ تم أكثر من مليون حادثة إجهاض بصورة قانونية، وأن ٧٠ ٪ من عمليات الإجهاض هذه كانت تتم لنساء غير متزوجات[2]

وزِيدَ على ذلك بأن القانون فى الدول الأوربية جعل الإجهاض مشروعًا للفتيات اللواتى دون السادسة عشر من العمر[3]

ومن الدراسات التى كشفت هذا الواقع المأساوى الذى تحياه البنت فى هذه المجتمعات، دراسة الدكتور « كنسى » التى توصل من خلالها إلى: « أن هناك مئة ألف فتاة أمريكية يغرر بهن سنويًا، وأن الفتاة كانت فى الماضى تتحول إلى امرأة فى الثالثة عشرة، وأن (١٣٠,٠٠٠) طفل يولدون ولادة غير شرعية - فى أمريكا - سنويًا، ونصف هذا العدد من فتيات فى سن المراهقة »[4]

---

(١) هم اليهود الذين أتتهم شريعة موسى عليه السلام.

(٢) نبيه عبد ربه، حضارة الحرام، مجلة منار الإسلام، عدد ٦، مارس ١٩٨٤، ص١٠٧.

(٣) حسين محمد يوسف، أهداف الأسرة فى الإسلام والتيارات المضادة، دار بو سلامة، تونس، الطبعة الثانية، ١٩٨٥، ص٣٠.

(٤) حسين محمد يوسف، أهداف الأسرة، المرجع السابق، ص١٠١.

يقول سيد قطب فى "الظلال"[1]: « إن الإسلام يهدف إلى إقامة مجتمع نظيف، لا تهاج فيه الشهوات فى كل لحظة، ولا تستثار فيه دفعات اللحم والدم فى كل حين، فعمليات الاستثارة المستمرة تنتهى إلى سعار شهوانى لا ينطفىء ولا يرتوى، والنظرة الخائنة والحركة المثيرة، والزينة المتبرجة والجسم العارى.

كلها لا تصنع شيئًا إلا أن تهيج ذلك السعار الحيوانى المجنون، وإلا أن يفلت زمام الأعصاب والإرادة. فإما الإفضاء الفوضوى الذى لا يتقيد بقيد، وإما الأمراض العصبية والعقد النفسية الناشئة من الكبح بعد الإثارة، وهى تكاد أن تكون عملية تعذيب ».

وإحدى وسائل الإسلام إلى إنشاء مجتمع نظيف هى الحيلولة دون هذه الاستثارة، وإبقاء الدافع الفطرى العميق بين الجنسين سليمًا وبقوته الطبيعية، دون استثارة مصطنعة، وتصريفه فى موضعه المأمون النظيف، قال النبى ﷺ: « **إن المرأة تقبل فى صورة شيطان وتدبر فى صورة شيطان** »[2]

وعن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: « **صنفان من أهل النار لم أرهما، قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون الناس بها، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رءوسهن كأسنمة[3] البخت المائلة، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها لتوجد من مسيرة كذا وكذا** »[4]

وهذا الحديث من معجزات النبوة، فقوله ﷺ: « **لم أرهما** » أى لم يوجدا فى عصرى، ولكنهما سيأتيان بعدى.

---

(١) فى ظلال القرآن ٤/٢٥١١.

(٢) أخرجه الإمام أحمد ٣/٣٣٠، ومسلم ١٤٠٣، والترمذى ١١٥٨، وصححه عن جابر بن عبد الله الأنصارى.

(٣) أسنمة البخت: ظهور الجمال، والمقصود يُكَبِّرْنَ رؤوسهن بنحو باروكة أو غيرها.

(٤) مسلم بشرح النووى، ١٣/١٠٩.

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **« سيكون فى آخر أمتى رجال يركبون على السروج كأشباه الرجال، ينزلون على أبواب المساجد، نساؤهم كاسيات عاريات على رؤوسهم كأسنمة البخت العجاف، العنوهن فإنهن ملعونات، لو كانت وراءكم أمة من الأمم لخدمن نساؤهم نساءكم كما يخدمنكم نساء الأمم قبلكم »**[1]

وحفاظًا للمجتمع من ضرر التبرج، وصيانة لجسوم النساء من التهتك ولحيائهن وعفافهن وإبعادًا لنفوس الرجال من الإغراء فالتدهور، نهى الله العليم الحكيم النساء عن التبرج وهو سبحانه الخبير بضعف الإنسان وطيش الشباب، فواجب عليك أيتها الأخت المسلمة أن تطيعى أوامر الله، إن كنت حقًا مؤمنة، قال الله تعالى: **﴿ وَقُل لِّلمُؤمِنَاتِ يَغضُضنَ مِن أَبصَارِهِنَّ وَيَحفَظنَ فُرُوجَهُنَّ وَلا يُبدِينَ زِينَتَهُنَّ إلا مَا ظَهَرَ مِنهَا وَليَضرِبنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلا يُبدِينَ زِينَتَهُنَّ إلا لِبُعُولَتِهِنَّ أَو ءَابَآئِهِنَّ أَو ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ، أَو أَبنَآئِهِنَ أَو أَبنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَو إِخوَانِهِنَّ أَو بَنِى إِخوَانِهِنَّ أَو بَنِى أَخَوَاتِهِنَّ أَو نِسَآئِهِنَّ أَو مَا مَلَكَت أَيمَانُهُنَّ أَو التَّابِعِينَ غَيرِ أُولِى الإِربَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَو الطِّفلِ الَّذِينَ لَم يَظهَرُوا عَلَى عَورَاتِ النِّسَآءِ وَلا يَضرِبنَ بِأَرجُلِهِنَّ لِيُعلَمَ مَا يُخفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللهِ جَمِيعًا أَيُّهَ المُؤمِنُونَ لَعَلَّكُم تُفلِحُونَ ﴾** [النور: ٣١].

إن الله تعالى أنزل هذه الآية وهو يعلم أن من النساء من تختمر للزينة والفتنة وتتجمل بالخمار لأنها تديره على رأسها مائلاً ذات اليمين أو ذات الشمال، وتحليه ببعض الحلية، وبإرسال خصلات من شعرها اللامع على جبينها أو تجعله على شكل تاج يزيد من جمال وجهها وحتى يكون الخمار نفسه زينة للناظرين عكس ما أراد الله من جعله ساترًا لزينتها وفتنتها وزعمت أنها أطاعت الله واختمرت كما أمر. ألا فلتعلم هذه المخادعة أن الله عليم بما فى نفسها من شهوة التجمل والتبرج، وأنه

---

(١) رواه أحمد ٢٢٣/٢ والطبرانى فى الأوسط والكبير والصغير، ورجاله رجال الصحيح.

لا يخفى عليه ما فى قلبها من الاحتيال والمخادعة، فرغبتها فى أن تبدو جميلة، وأن تحوز إعجاب من يراها ولو بالخمار، تبرج يمقته الله، ومعصية يعاقب عليها، ولذلك عقب قوله: ﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ ﴾ بقوله: ﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ ﴾ أى أن الخمار وحده لا يكفى وحده مع التجمُّل والتزين. ثم تدبَّرْنَ قوله: ﴿ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ﴾. تعلمن أن الله تعالى ينهى عن استلفات النظر إلى الزينة، وإن كانت مستورة. فالثوب الفضفاض الذى لا يبدى جمال الجسم يبرز منه شكل الأعضاء باهتزازها فى الحركة العنيفة والمشية أو الالتواءة الخليعة. كما قد يسمع عند الحركة رنين الحلى المستترة.

ثم تدبرن قوله تعالى لأزواج النبى ﷺ، وهن المؤمنات القانتات العابدات: ﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ ﴾ [الأحزاب: ٣٢]. تعلمن أن التبرج يكون حتى فى الصوت بتمارضه ولينه ودلاله. وهاكم قول رسول الله ﷺ: « **وإذا خرجت المرأة متعطرة فإنها زانية** » وهو يثبت أن التبرج كذلك يكون بتضوع ريحها، وتعمد لفت النظر إليها بطيب العطر. وعن أم سلمة: أن أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما دخلت على النبى ﷺ وعليها ثياب رقاق. فأعرض عنها وقال: « **يا أسماء، إن المرأة إذا بلغت المحيض لم يصلح أن يُرى منها إلا هذا وهذا. وأشار إلى وجهه وكفّيه** ».

أباح الله للمرأة أن تكشف عن وجهها وكفيها ولكن بلا أى زينة، فإذا هى زينت وجهها بالأصباغ أو طلت جفنيها وشفتيها وجب أن تستر زينة وجهها بقناع. وإذا هى خضبت كفها أو أظافرها وجب أن تستر زينة يديها بقفاز، لأن الله تعالى يقول: ﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ ﴾ فتدبروا يا أولى الألباب آيات الله وحديث رسول الله ﷺ، واعقلوا ما فيها من حكمة وأدب، فما أحكم هذا الحرص الذى يأمر المرأة بألا تمتع عينًا غير عين زوجها بجمالها، ولا أذنًا غير أذنه بحلو حديثها، ولا أنفًا غير أنفه

بشذا عبيرها، ولا خيالاً إلا خياله بما تخفيه من زينتها وحليها، لتكون بذلك فى حصن حصين، وسياج من العيون متين أمين، بعيدة عن أنظار الفجرة الفاسقين.

فإذا رجع الناس إلى هذا الصراط المستقيم، وتفهموا الحكمة فى أوامر العليم الحكيم، وجدوا أنه تعالى لم ينه عن شىء إلا لما فيه عليهم من ضرر جسيم، ولا أمر بشىء إلا وكان فيه لهم الخير العظيم، وأنه أراد أن يحفظنا ويربينا بشرائعه وآياته الكريمة.

وما أحكم وأجمل قول فضيلة الشيخ محمد الغزالى: إننا إذا اتفقنا على أن الزنا فاحشة لم نختلف فى منع ما يؤدى إليه من تقاليد التبرج والانطلاق.

وقال النبى ﷺ: « **العين تزنى وزناها النظر** ».

فلو احتشمت المرأة واجتنبت التبرج والخلاعة فى كلامها ومشيتها لما انتشر هذا الفساد والشر المستطير، إذ من المحال أن تُصانَ الأعراض وكرامة الأسر إلا بالاحتشام والغض من البصر.

أضرار التبرج:

وبناء على ما تقدم فالتبرج يضر النساء والرجال فى الدنيا والآخرة ويزرى بالمرأة ويدل على جهلها، وهو حرام على الشابة والجميلة وغيرها، فتبرج المرأة ضرره عظيم وخطره جسيم لأنه يخرب الديار ويجلب الخزى والعار ويدعو إلى الفتنة والدمار، لقد اتبعت المرأة المتبرجة خطوات الشيطان، وخالفت أوامر السنة والقرآن، وتعدت حدود الله واجترأت على الفسق والعصيان.

وإن مما يحز فى النفس ويبكى العين ويؤلم القلب ما يُشاهد من بعض الفتيات فى الشارع والمستشفيات وهن كاشفات الأذرع عاريات السيقان، ولا يلتفتن إلى أوامر الله وأوامر رسوله ﷺ الناهية عن التبرج والسفور والأمر بالتستر والحجاب.

أختى المسلمة: احذرى التبرج وإظهار الزينة لغير المحارم، واحذرى كثرة الخروج من البيت بدون عذر شرعى طاعة لله ولرسوله وصيانة لنفسك ودينك وعرضك عن الابتذال والامتهان.

ومن أعظم الفساد تشبه كثير من النساء بنساء الكفار من النصارى وأشباههم فى لبس القصير من الثياب وإبداء المحاسن ومشط الشعور على طريقة أهل الكفر والفسق، ولبس الرؤوس الصناعية المسماة (الباروكه)، قال ﷺ: « **من تشبه بقوم فهو منهم** »(١)

٢ - الاختلاط :

تعريف الاختلاط: هو اجتماع الرجال بالنساء غير المحارم فى مكان واحد يمكنهم فيه الاتصال فيما بينهم بالنظر أو الإشارة أو الكلام أو البدن من غير حائل أو مانع يدفع الريبة والفساد، وهو محرم.

فخلوة الرجل بالمرأة الأجنبية على أى حال من الأحوال تعتبر من الاختلاط، وقول الله تعالى ﷻ: ﴿ **وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى** ﴾ [الأحزاب: ٣٣]. يعتبر أمرًا من الله تعالى للنساء بالقرار فى البيت، وهذا الأمر فيه أيضًا نهى عن الاختلاط.

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه سمع النبى ﷺ يقول: « **لا يخلونَّ رجل بامرأة إلا ومعها ذو محرم، ولا تسافر المرأة إلا مع ذى محرم** ». فقال: يا رسول الله إن امرأتى خرجت حاجة، وإنى كنت فى غزوة كذا وكذا؟ فقال: « **انطلق فحج مع امرأتك** »(٢)

---

(١) رواه أحمد وأبو داود وابن حبان وصححه.

(٢) أخرجه البخارى ومسلم.

وعن عتبة بن عامر، أن رسول الله ﷺ قال: « **لا يخلون رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان** »[1]

وقد سَدَّ النبى ﷺ على الشيطان كل منفذ، وأغلق فى وجهه كل باب، فنهى عن الدخول على النساء فقال: « **إياكم والدخول على النساء** ». فقال رجل من الأنصار: أفرأيت الحمو؟ قال: « **الحمو الموت** »[2]

والحمو قريب الزوج كأخيه وابن أخيه، وعمه وابن عمه، والمعنى أن خلوة الحمو أشد خطرًا من خلوة الغريب، لأن دخوله لا يثير ريبة، ولا يلفت الأنظار، فكان صدور الخطر منه أسهل، فهو أخبر وأقدر على جلب الأخطار التى منها تقطيع أواصر القربى أو الطلاق أو إراقة الدماء.

إن الاختلاط محذور شرعًا حتى فى المساجد التى هى دور العبادة، فقد أمر رسول الله ﷺ ألا تقف النساء مع الرجال فى الصف للصلاة، بل يقفن وحدهن بعيدًا عن الرجال، يفصل بينهم الصبيان، بل وبيَّن رسول الله ﷺ أن: « **خير صفوف الرجال أولها، وشرها آخرها، وأن خير صفوف النساء فى المسجد آخرها، وشرها أولها** ».[3] وكان ﷺ يمكث فى مكانه يسيرًا، فنرى أن مكثه لكى تنصرف النساء قبل أن يدركهن الرجال[4]

وإذا كان الإسلام قد أمر بتعليم الفتاة العلم النافع والثقافة الدينية المفيدة لها، فيجب أن يكون هذا التعليم بمعزل عن الذكور، وبمنأى عنهم. حتى يسلم للبنت عِرْضها وشرفها، وحتى تكون دائمًا حسنة السمعة، كريمة الخلق، كثيرة الاحترام.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد ١٨/١، ٢٦ و ٣٣٩/٣، ٤٤٦، والبخارى (٢١٤٥) ومسلم (٢٠).

(٢) أخرجه البخارى ٣٣٠/٩ "فتح" ومسلم ١٥٣/١٤ "نووى" والترمذى ٣١٩/٢.

(٣) أخرجه الخمسة إلا البخارى.

(٤) أخرجه البخارى وأبو داود والنسائى.

ولعل أول تربوى نادى بالفصل بين الجنسين فى حقل التعليم وغيره هـو الإمـام القابسى، فقد ذكر فى رسالته عن التعليم (أن من حسن النظر ألا يخلط بين الذكـور والإناث)؛ ولما سئل ابن سحنون عن التعليم المختلـط ذكـورًا وإناثًـا فقـال: (أكـره أن يُعلّم الجوارى مع الغلمان لأن ذلك فساد لهن). وإذا كان ابن سحنون والقابسى يريان أن تفصل البنات عن الصبيان خشية الفساد – فرأيهما هذا – فى الحقيقة مسـتمد مـن حكم الشرع، وحكم الشرع مُقدَّم على كل أمر وحكم فى هذه الحيـاة لقولـه تعـالى: **﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الخِـيَرَةُ مِـن أَمرِهِم وَمَن يَعصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَد ضَلَّ ضَلالاً مُبِينًا ﴾** [الأحزاب: ٣٦].

أما أن رأيهما مستمد من حكم الشرع فللنصوص التالية:

قـال تعـالى: **﴿ وَإِذَا سَـأَلتُمُوهُنَّ مَتَاعًـا فَسَـأَلُوهُنَّ مِـن وَرَآءِ حِجَـابٍ ﴾** [الأحزاب: ٥٣]

وقال سبحانه وتعالى: **﴿ يَـآ أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَـآءِ المُؤمِنِـينَ يُدنِينَ عَلَيهِنَّ مِـن جَلابِيبِهِـنَّ ذَلِـكَ أَدنَـى أَن يُعرَفـنَ فَـلا يُؤذَيـنَ وَكَـانَ اللهُ غَفُـورًا رَّحِيمًا ﴾** [الأحزاب: ٥٩].

فكيف نتصور اختلاط المرأة بالأجنبى، والمـرأة المسـلمة فـى هـذه الآيـة مـأمورة بالحجاب، وارتدائه؟؟

وروى الترمذى عن رسول الله ﷺ أنه قال: **« مـا خـلا رجـل بـامرأة إلا وكـان الشيطان ثالثهما ».**

فهذه النصوص القرآنية والأحاديث النبوية تحرم اختلاط الرجال بالنساء بشـكل قاطع لا يحتمل الشك ولا الجدل!!

فالذين يبيحون الاختـلاط، ويبررونـه بتعويـدات اجتماعيـة، ومعالجـات نفسـية وحجج شرعية، فإنهم فى الواقع يفـترون علـى الشـرع، ويتجـاهلون الفطـرة الغريزيـة

والواقع المرير الذى آلتْ إليه المجتمعات الإنسانية فى تجربتها للاختلاط، فليسألوا مجتمعات الدول الغربية والشرقية عما وصلت إليه المرأة من تحلل وفساد، وإباحية وفجور. علمًا أن الاختلاط أمر شائع فى كل الطبقات وعلى مختلف المستويات، فى الشارع، فى المتجر، فى الدوائر الحكومية، فى الجامعة، فى الحدائق. وفى كل مكان.

فقد جاء فى كتاب "الإسلام والسلام العالمى" للشهيد سيد قطب: (أن نسبة الحبالى من تلميذات المدارس الثانوية فى أمريكا بلغت فى إحدى المدن ٤٨ ٪).

ونقلت جريدة الأحد اللبنانية فى العدد رقم ٦٥٠ عن الفضائح الجنسية فى الجامعات والكليات الأمريكية ما يلى:

- الفضائح الجنسية فى الجامعات الأمريكية بين الطلاب والطالبات تزداد كل عام.

- هجوم ليلى من الطلاب على غرف نوم الطالبات، وسرقة ثيابهن الداخلية.

- وقال عميد الجامعة معقبًا على الحدث: إن معظم الطلاب والطالبات يعانون جوعًا جنسيًا رهيبًا، ولا شك أن الحياة العصرية الحالية لها أكبر الأثر فى تصرفات الطلاب الشاذة.

وقد أشارت إحصائيات الولايات المتحدة عام ١٩٧٧ أنه فى عام ١٩٧٦ تم أكثر من مليون حادثة إجهاض - بصورة قانونية - وأن ٧٠ ٪ من عمليات الإجهاض هذه كانت تتم لنساء غير متزوجات[1]

وازدادت مشكلة الحضارة الغربية تعقيدًا، عندما تحول الأطفال فى معظم هذه الدول إلى رقيق يباع ويشترى.

---

(١) نبيه عبد ربه، حضارة الحرام، مجلة منار الإسلام، عدد ٦، مارس ١٩٨٤، ص١٠٧.

والتقارير والدراسات تؤكد يومًا بعد يوم، أن أعداد الأمهات اللواتى يَعْرِضْنَ أطفالهن غير الشرعيين للبيع فى تزايد مستمر، خصوصًا بعد أن وصل السعر إلى أكثر من ألف جنيه للطفل الواحد، وأكثر من ذلك وأعجب، أن صفقات البيع تتم قبل أن يولد الطفل، وقوائم الانتظار تضم مئات الطلبات. وتجرى الآن دراسات واسعة حول انتشار هذه الظاهرة فى كل من بريطانيا والمانيا وفرنسا وإيطاليا وهولندا، وأمريكا.(١)

وحتى الفتيات اللواتى لا يُجهضْنَ ولا يُبِعْنَ، لا يستطعن فى ظل هذه الحضارة أن يظفرن بطريق السعادة، ولا أن يحظين بأسباب الهناء! إذ إن قوانين هذه الدول، تُحمِّل الفتاة المسئولية كاملة، فى عمر لا تستطيع أن تتحمل فيه شيئًا من ذلك. مما يدفع بها إلى شِعْب الضياع والشقاء دفعًا!

فعندما تبلغ الفتاة سن الرشد - وهو على العموم لا يتجاوز السادسة عشر - تجبر على كسب معاشها، وحفظ نفسها، وتتحمل كافة مسئوليات الحياة(٢)

ويصبح لزامًا عليها أن تغادر منزل والديها، وإذا سُمح لها بالبقاء، فعليها أن تسهم فى إيجار المنزل، ونفقات الأسرة.

وقانون هذه الدول، يؤكد هو الآخر هذه الفكرة، ويثبت هذه النظرة. وربما كانت بعض الفروع القانونية، أكثر ظلمًا، وأشد قسوة، كقانون البغاء الإنجليزى، الذى يقدم الفتاة لقمة سائغة لوحوش الأعراض!!

فيعتبر كل طفلة - كما تقول مسز بتلز - بلغت الثانية عشرة من عمرها، امرأة كاملة العقل، كاملة الإدراك مما ييسر سقوطها، ويبرر التلاعب بها!

والأمر لم يتوقف عند حد اعتداء المجتمع على الفتاة، وظلم القانون وإنما تعدى ذلك إلى الأسرة، والأبحاث المختصة التى نشرتها صحيفة "الهيرالدتربيون" الأمريكية

---

(١) الأهرام المصرية، ١٩٧٤/٥/٢٩، وانظر أيضًا حسين يوسف، أهداف الأسرة فى الإسلام والتيارات المضادة، دار بو سلامه، تونس، الطبعة الثانية، ١٩٨٥، ص١١٠.

(٢) حسين محمد يوسف، أهداف الأسرة فى الإسلام، المرجع السابق، ص٢٨.

بتاريخ ١٩٧٩/٦/٢٩ تؤكد أن ظاهرة الاعتداء الجنسى والجسدى على البنات اللواتى لم يبلغن سن الرشد بعد، من قِبَلِ محارمهن كالأب، والأخ، والجد، والعم، لم تعد نادرة الحدوث، وإنما تفشّتْ لدرجة يصعب تصديقها، فهناك عائلة من كل عشر عائلات يُمارس فيها هذا الشذوذ العجيب(١)

والواقع المرير الذى تحياه الفتاة الأوربية. من صرخة الوضع إلى أنه النزع، دفع بها إلى حقل الجريمة دفعًا، حتى أن الإحصائيات المتأخرة كشفت عن أن ٢٦ ٪ من أعضاء الحركات الإرهابية فى ألمانيا – على سبيل المثال – من النساء(٢)

وهذه كاتبة أمريكية وهى هيلين ستاتسيرى التى عاشت فى مجتمع لا يلتزم بالحجاب. وقد عانت هى وكثيرات من بنى جنسها الويلات الكثيرة من السفور والتبرج لأن السفور لا يعود إلا بالضرر الجسيم. وتقدم نصيحتها لدى النسوة المعجبات بالمرأة الغربية والسفور الوارد إلينا من الغرب، ولعل المرأة المسلمة تستمع هذه النصيحة من امرأة لا تعرف الإسلام – على أن الإسلام سبقها بمكانة عظيمة – ولكن نقدم هذه الكاتبة للمفتونين بالغرب فتقول: « إن المجتمع العربى كامل وسليم، ومن الخليق بهذا المجتمع أن يتمسك بتقاليده التى تقيد الفتاة والشباب – فى حدود المعقول – وأن هذا المجتمع يختلف عن المجتمع الأوربى والأمريكى، فعندكم تقاليد موروثة تحتم تقييد المرأة وتحتم احترام الأب والأم، بل وتحتم أكثر من ذلك عدم الإباحية الغربية التى تهدد اليوم المجتمع.

والأسرة فى أوربا وأمريكا، ولذلك فإن القيود التى يفرضها المجتمع الغربى على الفتاة الصغيرة. وأقصد ما تحت سن العشرين هذه القيود صالحة ونافعة، لهذا أنصح بأن تتمسكوا بتقاليدكم وأخلاقكم وامنعوا الاختلاط وقيِّدوا حرية الفتاة بل ارجعوا إلى عصر الحجاب فهذا خير لكم من إباحية وانطلاق ومجون أوربا وأمريكا.

---

(١) نبيه عبد ربه، حضارة الحرام، مرجع سابق، ص١٠٦-١٠٧.

(٢) نبيه عبد ربه، حضارة الحرام، مرجع سابق، ص١٠٦.

وأضافت تقول: امنعوا الاختلاط قبل سن العشرين فقد عانينا منه في أمريكا الكثير، لقد أصبح المجتمع الأمريكي مجتمعًا معقدًا مليئًا بكل صور الإباحية والخلاعة، وأن ضحايا الاختلاط والحرية قبل سن العشرين يملأون السجون والأرصفة والبارات والبيوت السرية، أن الحرية التي أعطيناها لفتياتنا وأبنائنا الصغار قد جعلت منهم عصابات (جيمس دين)، وعصابات للمخدرات والرقيق، أن الإباحية والحرية في المجتمع الأوربي والأمريكي هدد الأسرة وزلزل القيم والأخلاق، فالفتاة الصغيرة تحت سن العشرين في المجتمع الحديث تخالط الشبان وترقص الشاتشتشا وتشرب الخمر والسجائر، بل وتتعاطى ذلك باسم المدنية والحرية والإباحية.

والعجيب في أوربا وأمريكا أن الفتاة الصغيرة تحت سن العشرين تلعب وتلهو وتعاشر من تشاء تحت سمع عائلتها وبصرها، بل تتحدى والدها ومدرسها والمشرفين عليها تتحداهم باسم الحرية والاختلاط، وتتحداهم باسم الإباحية والانطلاق، تتزوج في دقائق وتُطلّق بعد ساعات ولا يكلفها هذا أكثر من إمضاء وعشرين قرشًا وعريس لليلة أو لبضع ليال وبعدها يتم الطلاق وربما الزواج فالطلاق مرة أخرى[1]

فالذين يدعون إلى اختلاط الأنثى بالذكر في بلاد الإسلام، ويريدون أن يكون شائعًا مطبقًا في حياتنا الاجتماعية، ما هم في الحقيقة إلا أداة دعاية وتنفيذ لمخططات أعداء الإسلام من أصحاب مذاهب مادية وإلحادية وإباحية، التي تستهدف إفساد المجتمع المسلم، وهدم كيانه، وذلك بتمزيق القيم الأخلاقية والمفاهيم الدينية بين الشباب والشابات وإشاعة الميوعة والانحلال في كل ناحية من نواحي المجتمع المسلم، فالمرأة عند هؤلاء هي أول الأهداف في هذه الدعوة الإباحية، والميدان الماكر، فهي العنصر الضعيف والعاطفي لتنفيذ أي مخطط لدعوة إباحية، ومنهج استعماري.

---

(١) مجلة "صوت الإسلام" القاهرية في عددها ٤١ بتاريخ ١٠ صفر عام ١٣٨٢ هـ نقلاً عن جريدة الجمهورية القاهرية الصادرة في ٦ محرم.

يقول أحد أقطاب المستعمرين: كأس وغانية تفعلان فى تحطيم الأمة المحمدية أكثر مما يفعله ألف مدفع، فأغرقوها فى حب المادة والشهوات.

وذكر جورج بالوش فى كتابه "الثورة الجنسية" ما يلى: « وفى سنة ١٩٦٢ صرح كينـدى بأن مستقبل أمريكا فى خطر لأن شبابها مائع منحل غارق فى الشهوات لا يُقدِّر المسئولية الملقاة على عاتقه، وأن من بين كل سبعة شبان يتقدمون للتجنيد يوجد ستة غير صالحين، لأن الشهوات التى أغرقوا فيها أفسدت لياقتهم الطبية والنفسية ».

وأخيرًا فما على المسئولين من آباء وأمهات إلا أن يبعدوا أولادهم عن كل مظاهر التميُّع والانحلال، وأن يسعوا جهدهم لكى يغرسوا فى نفوسهم أنبل معانى الكرامة والشخصية والخلق العظيم!!

واعلموا أنكم إن قصَّرْتُمْ فى حق أولادكم وبناتكم من الناحية الخلقية، فإن من لهم عليكم حق التربية سينشأون - لا شك - على الميوعة والانحلال ويتربون على الفساد وسوء الخلق. وعندئذ يصبحون خطرًا على الأمن والاستقرار، ويكونون أدوات هدم وتخريب فى المجتمع.

آثار التبرج والاختلاط:

للتبرج والاختلاط آثار سيئة منها:

١ - حلول الزنا والسِّفاح محل الزواج الشرعى، وجريمة الزنا أخطر على البشرية من القنابل الذرية لأن فيه اختلاط الأنساب وانتهاك الأعراض وانتشار الأمراض.

٢ - فساد الأسرة وانهدام العائلة وتفشى الطلاق لاستغناء كل من الزوجين عن الآخر بغيره.

٣ - شيوع الفواحش، وسيطرة الشهوات فتطغى الشهوات وتنتشر المفاسد وتكثر الأمراض.

٤ – القضاء على النسل البشرى والنوع الإنسانى، فإذا اكتفى الناس بالزنا محل الزواج الشرعى فإن الزانية لا ترغب فى الحمل الذى يهدد جسمها ويلحقها بسببه العار والفضيحة لذلك تحاول الخلاص منه بكل السبل.

٥ – انتشار العادات السيئة كعملية العادة السرية – الاستمناء – والزنا واللواط وخصوصًا بين المراهقين بسبب تهيج الشهوة الناتج عن المشاهدة والمخالطة بين الجنسين مع التبرج والزينة.

٦ – شقاء الرجل والمرأة على السواء لأن كلاً منهما لا يجد الحياة السعيدة إلا فى الحياة الزوجية المستقيمة، قال الله تعالى: ﴿ **وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾ [الروم: ٢١].

٧ – الإساءة إلى المرأة بالذات فخروجها متبرجة مُتزيِّنة مُخالطة للرجال يُعرِّض عفافها وعِرْضها للأذى والسوء والفحشاء من قِبَلِ الأشرار والسفهاء.

٨ – الانهيار الخلقى الشامل بسبب هذه الأخطار والأمراض والمساوىء، فينتشر الكذب والخداع والغش والخيانة وتفشِّى العادات الخبيثة والمعاملات السيئة، وينعدم الحياء والحشمة.

والمجتمع المختلط المتبرج محروم من ذلك كله لأنه فى غفلة عن الله والدار الآخرة.

هذه هى عواقب التبرج والاختلاط بين الجنسين، وهى عواقب خطيرة تهدد المجتمع الإنسانى بالانحطاط والانهيار وتهبط بالإنسان إلى مستوى الحيوان.

لذا فإن الإسلام حرَّم الاختلاط بين الرجال والنساء الأجانب، وجعل لكل منهما بيئته الخاصة به لتأمن الإنسانية وتسْلَم البشرية ويحتفظ الإنسان بكرامته وإنسانيته ودينه.

٣ - التدخين:

ما كنا نظن أن المرأة المسلمة فى يوم من الأيام تقبل أن تطرح تقاليدنا وآدابنا الإسلامية، وتهدم أنوثتها، وتقبل على عادة التدخين التى تُشوِّه منظرها، وتتلف أسنانها، وتؤذى صحتها، وتُضخِّم صوتها، وتسبب رائحة كريهة للفم، والله سبحانه وتعالى قد أحل للإنسان الطيبات، وحرم عليه الخبائث للحفاظ على جسمه، وسلامة خلقه وتفكيره، وظهوره فى المجتمع بمنظر جميل، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ ﴾ [النساء: ٢].

ثم إن الدخان يؤدى إلى تخدير العقل وفتور الجسم، وقد نهى النبى ﷺ عن كل مُفتر ومسكر ومخدر، وذلك فى الحديث الذى رواه أحمد فى مسنده وأبو داود فى سننه بسند صحيح عن أم سلمة رضى الله عنها قالت: « **نهى رسول الله ﷺ عن كل مسكر ومفتر** » أى مخدر.

وهذه النصوص تؤكد أن تناول الدخان حرام، واجتنابه واجب لضرره الجسيم على الجسم بالإضافة إلى أنه يسبب إضاعة المال فى أضرار يعود أثرها على الفرد والأسرة والمجتمع، وقد نهى النبى ﷺ عن إضاعة المال - كما جاء فى صحيح البخارى.

إن المرأة من شأنها نشر الطيب، والروائح العطرية التى تسرُّ الخاطر داخل المنزل، وتنعش الفؤاد وتجلب السرور.

فإياك أيتها المسلمة وعادة التدخين ففيها تشبُّه بأعداء الإسلام، وخروج عن الذوق السليم.

وهذه العادة السيئة مخالفة لطبيعة الأنثى الرقيقة التى خلقها الله عليها.

وقد حذرت منظمة الصحة العالمية[1] بمناسبة اليوم العالمى لمحاربة التدخين من أن حوالى ٥٠٠ مليون شخص - أى واحد من كل عشرة أشخاص - يموتون بأمراض مرتبطة بالتدخين مثل سرطان الرئة، وأمراض القلب والجهاز التنفسى. وذلك إذا ما استمر معدل التدخين على ما هو عليه الآن.

وذكر روبوتو ماسترونى أحد مسئولى المنظمة أن الدراسات الأخيرة بيّنتْ أن عمر المدخنين ينقص بحوالى ١٥ - ٢٠ سنة، وأن حياة الأطفال الذين يعيشون مع أسرة مدخنة تتعرض للخطر قبل أن يولدوا، وأن هؤلاء الأطفال يعانون من أمراض فى الجهاز التنفسى لأنهم يتعرضون لدخان يوازى تدخين ٨٠ سيجارة سنويًا.

وقد ثبت بالدليل القاطع أن التدخين له آثار ضارة على المرأة الحامل هى:

- الإجهاض المبكر للحمل هو الخطر الأول والأكبر، فقد دلّتْ جميع الإحصاءات العملية على أن قابلية السيدة الحامل للإجهاض يتضاعف بالتدخين، ويزيد هذا الخطر كلما كان التدخين أثناء الشهور الأولى من الحمل فمادة النيكوتين فى السجائر يمتصها دم الأم من الرئة لتسرى فى جميع أجزاء الجسم، ومن ضمنها الرحم والمشيمة، حيث تؤثر على مهد الجنين الصغير وتسبب انفصاله عن مصدر غذائه وإعالته من الأم.

وتكون النتيجة المحتومة لهذا الإجهاض الذى يتكرر طالما أن السبب موجود وهو التدخين أثناء الحمل.

- تشوهات الجنين أثناء الحمل مشكلة خطيرة يتزايد عدد ضحاياها باستمرار خصوصًا فى العصر الحديث.

---

(١) جريدة الأهرام الصادرة فى ١٩٩٠/٦/١.

وقد كشفت البحوث عن علاقة وثيقة بين التدخين وهذه التشوهات، فبالإضافة إلى النيكوتين يشير إصبع الاتهام فى هذا المجال إلى كثير من نواتج احتراق السيجارة مثل القطران وغيره.

وتختلف هذه التشوهات فى نوعها وحِدَّتها، ولكن الجهاز العصبى للجنين هو أول ضحايا هذه المواد الغريبة، وتأتى بعد ذلك الدورة الدموية والقلب والعينان وباقى أجهزة الجسم.

- وفاة الجنين أثناء الحمل داخل الرحم وحدوث الولادة قبل موعدها الطبيعى مما ينتج عنه طفل غير كامل النمو، غير قادر على مواجهة الحياة ومتاعبها، كل هذا وغيره الكثير تثبت بالإحصائيات المتكررة حدوثه بكثرة للحوامل المدخنات.

كما أن الأمهات المدخنات قد يجنين على أطفالهن لأن النيكوتين وبعض نتائج احتراق السيجارة يفرزها الثدى مع اللبن فى فم الطفل الرضيع، وأترك لك أن تتصور الأخطار التى قد يتعرض لها هذا الكائن الضعيف فى أيامه وأسابيعه الأولى فى الدنيا.

٤ - الخلطة الفاسدة ورفاق السوء:

من العوامل المهمة التى تؤدى إلى انحراف الفتاة، رفاق السوء والخلطة الفاسدة، وخصوصًا إذا كانت الفتاة بليدة الذكاء، ضعيفة العقيدة، فسرعان ما تتأثر بهذه الرفقة، وسرعان ما تكتسب منهم أقذر العادات، وأقبح الأخلاق وتسير معهم فى طريق الانحلال والضياع، ويصعب بعد ذلك ردها إلى الطريق المستقيم.

والإسلام يأمر الآباء والأمهات أن يراقبوا بناتهم مراقبة تامة، وخاصة فى سن المراهقة، ليعرفوا من يخالطون ويصاحبون، وأين يذهبون؟

كما أمرهم الإسلام أن يختاروا لهم الرفقة الصالحة ليكتسبوا منهم الخلق الكريم والعادات الحميدة الفاضلة.

كما أمرهم أن يحذروهم من خُلْطة رفاق السوء حتى لا يقعوا فى حبائل غيهم، ويكتسبوا منهم العادات السيئة، ولقد حذرنا الإسلام من هذا، قال الله تعالى: ﴿ **رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُ وَلَكِن كَانَ فِى ضَلَالٍ بَعِيدٍ** ﴾ [ق: ٢٧].

ويقول النبى ﷺ فيما رواه الترمذى: « **المرء على دين خليله، فَلْينظُرْ أحدكم من يُخَالِلُ** ».

وقال ﷺ فيما رواه الترمذى: « **المرء مع مَنْ أحبَّ، وله ما اكتسب** ».

وقال ﷺ - فيما رواه ابن عساكر -: « **إياك وقرين السوء فإنك به تُعرَفُ** ».

فما أحسن الآباء والأمهات أن يـأخذوا بهـذه النصـائح، حتى تنصلـح أحـوال أبنائهم فينصلح المجتمع بصلاحهم. ويصبحوا أبناء نافعين للوطن.

٥ - مشاهدة أفلام الجنس والجريمة:

من العوامل الخطيرة التى تؤدى إلى انحراف الفتاة، وتدفعها إلى ارتكاب الجريمة ما تشاهده فى دور السينما والتلفزيون من روايات بوليسية وأفلام خليعـة ومـا تقـرؤه من مجلات ماجنة وقصص مثيرة، وهى بجملتها تشجع عـل الانحـراف والإجـرام، لأنـه كثيرًا ما يشعر المراهق أنه يعيش قصة حب. وذلك طبعًا تحت تأثير السينما والتلفزيـون الذى دخل كل منزل، ولا تمر ساعة دون أن يُعرضَ مسلسل أو فيلـم غرامـى. وتحت ذلك التأثير يقع الكثير من المراهقات والمراهقين فى ذلك الوهم الغرامى أسـوة بأبطـال الأفلام، ومعالجة الأمر بهدوء دون أى عنف أو إثارة لمشـاعر المراهقـة العدائيـة كفيـل بإنهاء الموضوع، فأغلب هذه القصص الغرامية العنيفة تموت وحدها فجـأة بعـد مـرور شهر أو اثنين موتًا طبيعيًا دون تدخل من الأهل.

فالمراهق يشاهد أفلام الرعب فتثيره وتُشبع مخاوفه وتدغدغ أحاسيسـه بمناظرهـا ويقرأ الكتب الممنوعة سرًا، ويمكننا القول بأن مرحلـة المراهقـة هـى مرحلـة التجسـس

على الجنس. أو السير على شاطىء الجنس فقط دون الدخول فى بحاره، وموضوع الجنس ومناقشته مع الابنة المراهقة شائك يتحرج الأهل من الحديث فيه. ولكن يجب أن تتغلب الأم على الخجل فى مواجهة هذا الموضوع فذلك أفضل كثيرًا من ترك الأمور للابنة المراهقة وحدها تجمع معلوماتها فيه كيفما اتفق، ومن المصادر المحيطة بها سواء كانت كتبًا أو قصصًا تحكيها زميلاتها، فمثل هذه الطريقة تساعد على جمع معلومات فيها الكثير من المبالغات والتشويش مما يربط موضوع الجنس فى ذهن المراهقة بمخاوف عميقة وأفكار مشوشة تؤثر تأثيرًا سيئًا فى حياتها مستقبلاً. كذلك لوحظ أن بعض الأمهات لا يرضيْنَ بنضج البنت ودخولها مرحلة المراهقة فذلك يعنى بالنسبة للأم فَقْد طفلتها ووصول منافسة لها، كما يظهر كبر سن الأم التى ترغب فى التمسك بشبابها. ومثل هذه العواطف غير الطبيعية يجب السيطرة عليها، فطفلة الماضى هى رفيقة وصديقة الحاضر والمستقبل بالنسبة للأم، وتكوين صداقة حميمة بين الأم وابنتها تجعل مرحلة المراهقة الحرجة فترة هادئة نوعًا ما بالنسبة للابنة ويمكنها اجتيازها بسلام دون وقوع فى أخطاء الجنس وما قد يتبعها من مشكلات.

وكذلك واجب على الآباء والأمهات أن يمنعوا أبناءهم من شراء المجلات الخليعة، واقتناء القصص الغرامية، ومطالعة كتب الإلحاد، وواجب عليهم أن يمنعوا أولادهم كذلك من مشاهدة الأفلام الجنسية والبوليسية، وباختصار يجب منعهم عن كل ما يضر بعقيدتهم ويدفعهم نحو الرذيلة والإجرام لكى يقوموا بمسئوليتهم كاملة تجاه أبنائهم، تحقيقًا لقول النبى ﷺ: « **الرجل راع فى بيت أهله ومسئول عن رعيته** »[1]

٦ - سوء معاملة الأبوين للفتاة :

من العوامل الخطيرة التى تؤدى إلى انحراف الفتاة، سوء معاملة الأبوين لها، ويؤكد ذلك علماء التربية، فيقولون إن الفتاة إذا عوملت معاملة سيئة من الأبوين، فإن

(١) رواه البخارى ومسلم.

ردود الفعل ستظهر فى سلوكها وخلقها، وإن ظاهرة الانكماش والخوف ستبدو فى تصرفاتها وأفعالها، وقد يؤدى بها هذا إلى الانتحار، أو ترك البيت نهائيًا، تخلُّصًا مما تعانيه من المعاملة القاسية، والقسوة الظالمة.

فعلى الوالدين أن يُغلِّفا قسوتهما بغلاف من الرحمة، وغلالة من لين:

فقسَا لِيزْدجرُوا ومَنْ يَكُ حَازِمًا   فَلْيقْسُ أحيانًا على مَنْ يرحمُ

تلك القسوة الرحيمة أو الرحمة القاسية من أهم أسس التربية التى يجب أن يعتمد عليها رب الأسرة والقوَّام عليها. أما إذا تخلى عنها، ففرط أو أفرط. إن فرط فى العقاب فسوف يُعقِّد أبناءه وبالتالى سوف يكرهونه، وإن أفرط الأب فى الحنان والعطف اهتزت شخصيته فى عيون أولاده، واضطرب زمام القيادة فى يده، واستخف الأبناء بمسئولياتهم، والعطف الأبوى على الأبناء يجب أن يكون كذلك على القدر المعقول والطريقة الحكيمة هى:

عطف مقرون بالحكمة، وحب ممزوج بشدة، لا إفراط ولا تفريط.

لا ينبغى أن نترك أولادنا فى هذه الفترة الحرجة من عمرهم يعبثون بما يشاؤن بحجة التربية الاستقلالية.

والطفلة كما تشذ إذا حُرِمتْ من العطف والحنان كذلك تشذ إذا زاد عليها العطف، وأُطلق حبلها على الغارب، ولا يصلحها إلا مزيج من جرعات قسوة ورشفات من حنان وبسمات عطف، ولمسات توجيه وتثقيف وإرشاد.

يقول زيد بن على ﷺ: إن خير الآباء للأبناء من لم يَدْعُه الحب إلى التفريط وخير الأبناء للآباء من لم يَدْعُه التقصير إلى العقوق[1]

فعلى المربى – أبًا أو أمًا أو معلمًا – أن يخط فى صحة الطفولة النقية البيضاء ما يريد من تعاليم ومثل، وأن ينقش عليها ما يراه من صفات وأخلاق حميدة حتى ينشأ

---

(١) العقد الفريد، جـ٢، ص٦٢.

الأولاد على الاستقامة ويتربوا على الجرأة واستقلال الشخصية، وبالتالى يشعرون أنهم ذوو تقدير واحترام وكرامة.

وأن يكون كل من الأب والأم مثلاً أعلى مُجسَّمًا للمثل العليا التى يريدون غرسها فى أولادهم، قال عمرو بن عتبة لمعلم ولده: « ليكن أول إصلاحك لولدى إصلاحك لنفسك، فإن عيونهم معقودة بعينك، فالحسن عندهم ما صنعت، والقبيح عندهم ما تركت، علّمهم كتاب الله ولا تملهم فيه فيتركوه، ولا تتركهم منه فيهجروه، زدهم من الحديث أشرفه، ومن الشعر أعفه، ولا تنقلهم من علم إلى علم حتى يُحكِموه، فإن ازدحام الكلام فى القلب مشغلة للفهم، وعلّمهم سنن الحكماء، وجنّبهم محادثة السفهاء، ولا تتكل على عذر منى لك فقد اتكلت على كفاية منك »(1)

وقال تعالى: ﴿ وَلَو كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ القَلبِ لانفَضُّواْ مِن حَولِكَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩]

وقال النبى ﷺ فيما رواه البخارى: « **إن الله يحب الرفق فى الأمر كله** ».

وقال النبى ﷺ فيما رواه أحمد والبيهقى: « **إن أراد الله تعالى بأهل بيت خيرًا أدخل عليهم الرفق، وإن الرفق لو كان خَلْقًا لما رأى الناس خَلْقًا أحسن منه، وإن العنف لو كان خَلْقًا لما رأى الناس خَلْقًا أقبح منه** ».

٧ - اليُتم:

من العوامل الأساسية التى تؤدى إلى انحراف الأولاد: اليتم الذى يعترى الصغار (أولاد أو بنات) وهم فى زهرة العمر، ومقتبل الحياة، هذا اليتيم الذى مات أبوه وهو صغير، وحُرِم من عطف أبويه، وفقد دفء الأمومة وحنانها، إذا لم يجد اليد الحانية

(١) العقد الفريد، جـ٢، ص٢٦١.

التى تحنو عليه والقلب الرحيم الذى يعطف عليه والرعاية الكاملة التى ترفع من مستواه، فلا شك أن هذا اليتيم سوف يندرج نحو الانحراف.

والقرآن الكريم أوصى باليتيم، وعُنِى بأمره وأثار عاطفة الناس إليه وحضَّهم على الإحسان به ليجد فى حنانهم بديلاً عن حنان أبويه، وبذلك تصفو نفسه ويخلو فؤاده من الحقد على المجتمع وكراهية المحيطين به. قال تعالى فى كتابه الحكيم: ﴿ **وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُواْ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُواْ اللهَ وَلْيَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيدًا** ﴾ [النساء: ٩].

قال تعالى: ﴿ **وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ** ﴾ [البقرة: ٢٢٠].

وقال سبحانه: ﴿ **فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ** ﴾ [الضحى: ٩].

وبشَّر الرسول ﷺ بالجنة كل مَنْ يكفل اليتيم ويقوم بأموره فقال: « **أنا وكافل اليتيم فى الجنة كهاتين وأشار بأصبعيه السبابة والوسطى** »[١]

فرعاية اليتيم وكفالته واجبة على ذوى القرابات من العَصَبات والأرحام، وفى حالة الفقر وعجزهم المادى، واجب على الدولة أن تتعهده وتشرف على تربيته والإنفاق عليه، فيكون ذلك أبعد له من التشرد والضياع والإهمال.

٨ - إيثار الأولاد على البنات:

إن عملية المفاضلة بين الأولاد والبنات من أعظم العوامل التى تؤدى إلى انحراف البنات النفسى سواء كانت المفاضلة بينهم فى العطاء أم فى المعاملة أم فى المحبة!!

وهذه الظاهرة لها أسوأ النتائج فى انحرافات الفتاة السلوكية والنفسية، لأنها تُولِّد الحسد والكراهية، وتسبب الخوف والحياء والانطواء والبكاء. وتورث حب

---

(١) رواه الترمذى.

الاعتداء والمشاجرة والعصيان. وتؤدى إلى المخاوف الليلية، والإصابات العصبية ومركبات الشعور بالنقص.

والمفاضلة أو الإيثار يوغر الصدور، ويُولِّد الحزازات، لذلك نهى الإسلام الآباء أن يؤثروا بعض أبنائهم على بعض، حتى لا يمتلىء الأبناء حقدًا عندما يرون أباهم يخص أحدهم على الآخر بعطفه وحنانه. وحتى لا تمتلىء نفوس البنات حسرات حينما يرون أنهن أقل من إخوتهن البنين إنصافًا ومساواة وتقديرًا.

وجزاء هذه المساواة، سعادة فى الدنيا والآخرة كما جاء فى سنن أبى داود، عن ابن عباس أن الرسول ﷺ قال: « **من كانت له أنثى، فلم يُهِنْها ولم يُؤثِرْ ولده عليها أدخله الله الجنة** ». لا تفريق فى المعاملة بين الذكورة والأنوثة، إذ لا اختيار للوالد فى نوع المولود وإنما هو هبة من الله يقول المولى عز وجل: ﴿ **يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ الذُّكُورَ ۝ أَو يُزَوِّجُهُم ذُكرَانًا وَإِنَاثًا** ﴾ [الشورى: ٤٩، ٥٠].

وهبة الله تُستقبَلُ دائمًا بالحمد والشكران، وجزاء الشكران المغفرة والجنة والرضوان، قال رسول الله ﷺ: « **من كان له ثلاث بنات فأنفق عليهن وأحسن إليهن حتى يغنيهن الله عنه أوجب الله له الجنة إلا أن يعمل عملاً لا يغفر له** ».

والأولاد نعمة من الله (سواء كانوا بنين أو بنات) لا يحسُّ قدرها ولا يعرف مقدارها إلا من حُرِم منها، والبنون زينة الحياة قال تعالى: ﴿ **المَالُ وَالبَنُونَ زِينَةُ الحَيَاةِ الدُّنيَا** ﴾ [الكهف: ٤٦].

وحبُّنا لهم يجب أن يكون بمقدار واحد وإلا قادونا إلى التهلكة، يقول المولى عز وجل: ﴿ **إِنَّمَآ أَموَالُكُم وَأَولادُكُم فِتنَةٌ** ﴾ [التغابن: ١٥].

ورُوِى عن النبى ﷺ أنه قال: « **ساووا بين أولادكم فى العطية** »[1]

---

(١) رواه الطبرانى.

فيؤخذ من هذه التوجيهات النبوية الكريمة مبدأ تحقيق العدل، والمساواة والمحبة فيما بين الأولاد، دون أن يكون لعنصر التفريق أو التميز مكان بينهم.

٩ - المشاجرات الزوجية أمام الأبناء :

من العوامل الأساسية التي تؤدى إلى انحراف الأولاد، احتدام النزاع، واستمرار الشقاق ما بين الأب والأم، فى أعظم ساعات اللقاء والاجتماع، فالفتاة حين تفتح فى البيت عينيها، وترى ظاهرة الخصومة أمام عينيها، ستترك حتمًا جو البيت القاتم وتهرب من محيط الأسرة الموبوء، لتفتش عن رفاق تقضى معهم جُلَّ وقتها وتصرف فى مخالطتهم فراغها، فهؤلاء إن كانوا قرناء سوء ورفقاء شر، فإنها ستندرج معهم إلى الانحراف.

كما أن الفتاة التى ترى والديها يتشاجران باستمرار وبعنف يتولد فى نفسها الشعور بعدم الطمأنينة، ولا سيما إذا حاول الولدان أن يُشرِكا أولادهم فى النزاع عن طريق الطلب منهم أن يتحيزوا للأب أو للأم.

وينبغى بصفة عامة عند حدوث أى توتر فى الأسرة أن يظل أمره مكتومًا بين الزوجين يحاولان معًا إزالته والقضاء عليه، يقول الرسول ﷺ: « **استعينوا على إنجاح الحوائج بالكتمان** ».

فإن لم يكن هناك بُدٌّ من إعلام أحد، فليكُنْ أقرب المقربين للأسرة، ولا يخبر إلا بوجود خلاف ما، أما طبيعة الخلاف وماهيته فلا ينبغى إعلامه بها فى هذه المرحلة، ولنا فى آل بيت الرسول الكريم ﷺ أسوة حسنة، فقد جاء النبى ﷺ إلى بيت فاطمة فلم يجد عليًا، فقال: « **أين ابن عمك؟ فقالت: كان بينى وبينه شىء فغاضبنى فخرج. فقال النبى ﷺ لرجل: انظر أين هو؟ فقال: هو فى المسجد راقد، فجاءه وهو مضطجع، وقد سقط رداؤه عن شِقّه فأصابه تراب، فجعل النبى ﷺ يقول: قُمْ يا أبا تراب ... قُمْ يا أبا تراب** ».

قال راوى الحديث سهل بن سعد: « **وما كان له اسم أحب إليه منه** »[1]

وبنظرة سريعة إلى هذا الخبر يتبين لنا كيف أن السيدة فاطمة لم تخبر النبى ﷺ بطبيعة الخلاف وماهيته، بل كل ما أعلمته إياه هو مجرد وجود خلاف وحسب، كما يتبين حسن تصرف الإمام على بن أبى طالب الذى لم يدع مجالاً لاتساع شُقَّة الخلاف والغضب، فترك زوجته وذهب إلى أفضل مكان ترتاح فيه الأعصاب وتصفو فيه النفوس.

كما يتبين لنا كيف كان رسول الله ﷺ حكيمًا، إذ لم يسأل ابنته عن أسباب الخلاف وتفاصيله، كما لم يعاتب أو يلوم الإمام عليًا، بل داعبه ولاطفه بأسلوب كان له أبعد الأثر فى زوال الغضب والضيق.

وهذا ما يجب علينا اتباعه أزواجًا وزوجات وآباء فى مثل هذه المواقف، سواء كان التوتر من جانب الزوجة أم من جانب الزوج.

١٠ - الطلاق:

من العوامل الأساسية التى تؤدى إلى انحراف الأولاد (بنات أو بنين) حالات الطلاق وما يصحبها من تشرد وضياع، وما يعقبها من تشتت وفراق.

فالفتاة إذا تفتحت على الدنيا عيناها، و لم تجد الأم التى تحنو عليها، ولا الأب الذى يقوم على أمرها ويرعاها، فإنها بدون شك ستندفع نحو الجريمة وتتربى على الفساد والانحراف.

ومما يزيد الأمر سوءًا، زواج المطلقة من زوج آخر فإن الأولاد سيؤولون فى الغالب إلى التشرد والضياع.

ومما يُعقِّد المشكلة أكثر، فقر الأم بعد الطلاق فإنها فى هذه الحالة ستضطر إلى العمل خارج المنزل، وتترك أولادها الصغار للشارع، تعبث بهم فتن الأيام وحادثات

---

(١) الحديث أخرجه الشيخان.

الليالى دون رعاية أو عناية، فلا يجدون الطعام الكافى الذى يسد جوعتهم، ولا الكساء الواقى الذى يستر عورتهم، ولا المسكن الصالح الذى يحقق لهم راحتهم ويحفظ صحتهم، فيكون مصيرهم التشرد والضياع والانحراف.

والإسلام بمبادئه الرشيدة أمر كلاً من الزوجين أن يقوما بالحقوق نحو بعضهما البعض، حتى لا يؤول الأمر إلى نتائج لا تُحمَدُ عُقْباها، وقد سبق أن تناولنا الحديث عن حقوق الزوجة والزوج.

أما فى حالة تعذر الوفاق بين الزوجين لسوء خلق الزوج أو لسوء خلق الزوجة ولا يمكن أن يعيشا معًا، وأصبحت الحياة مستحيلة بينهما فعلى الزوج أن يأخذ الاحتياطات الآتية قبل وقوع الطلاق:

١ - الوعظ والإرشاد.

٢ - الهجر فى المضجع: وهى عقوبة نفسية، لعل المرأة تعود إلى صوابها.

٣ - الضرب غير المبرح: إذا كان باعتقاده أنه ينفع، ويشترط فيه أن لا يكون شديدًا، ثم بالتالى لا يترك أثرًا فى جسم المرأة، ويشترط كذلك أن لا يكون الضرب فى مواضع مؤذية كالوجه والصدر والبطن. وهو بهذه الشروط إلى التهديد أقرب منه إلى الإيلام والإيذاء. علمًا بأن الرسول ﷺ وهو القدوة الحسنة لم يضرب امرأة قط، فقد روى ابن سعد عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت: « **ما ضرب رسول الله ﷺ بيده امرأة قط، ولا خادمًا، ولا ضرب شيئًا قط، إلا أن يجاهد فى سبيل الله** ».

٤ - اللجوء إلى التحكيم: وذلك بتدخل وسطاء عقلاء من أهله وأهلها، يدرسون المشكلات القائمة بين الزوجين، ويقترحون الحلول العملية لإعادة الوفاق والتفاهم بينهما لعلها تنفع قبل وقوع الطلاق.

وهذه الاحتياطات لازمة، عملاً بقوله تبارك وتعالى: ﴿ وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلا تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ۞ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلاحًا يُوَفِّقِ اللهُ بَيْنَهُمَآ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴾ [النساء: ٣٤، ٣٥].

وفى حال تعذُّر الوفاق بعد الأخذ بهذه المراحل، يطلقها تطليقة واحدة فى طُهْر لم يجامعها فيه، لإتاحة الفرصة لإعادة الحياة الزوجية بعد التطليقة الأولى، لقوله تبارك وتعالى: ﴿ فَإِن طَلَّقَهَا فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ اللهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٣٠].

فيتبين مما ذكرناه أن الإسلام اتخذ كافة الاحتياطات اللازمة التى تحول دون وقوع الطلاق، لما يترتب عليه من نتائج وخيمة على الزوج والزوجة والأولاد. فقد روى أبو داود وابن ماجه، أن النبى ﷺ قال: « **أبغض الحلال عند الله الطلاق** ».

وفى حالة وقوع الطلاق أوجب الإسلام على الزوج المتعة، ونفقة العدة، ونفقة الأولاد، حتى لا تشقى المطلقة، ولا يشقى معها أولادها، لقوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ ﴾ [البقرة: ٢٣٦].

١١ - الإثارات الجنسية:

من المسئوليات الكبرى التى أوجبها الإسلام على الآباء والأمهات أن يُجنِّبوا أولادهم (بنين وبنات) كل ما يثيرهم جنسيًا ويفسد خلقهم. وذلك حينما يبلغ الأولاد سن المراهقة، وهو السن الذى يتراوح ما بين العاشرة إلى البلوغ.

ولقد أجمع علماء التربية والأخلاق أن مرحلة المراهقة من أخطر المراحل فى حياة الإنسان، فإذا عرف الآباء كيف يربون أولادهم؟ وكيف ينتشلونهم من أوحال

الفساد؟ فلا شك أن الأبناء سوف ينشأون على الخلق الفاضل، والأدب الرفيع. والتربية الإسلامية السامية. ومما يدل على أن الإسلام أمر الآباء والأمهات أن يُجنّبوا أولادهم الإثارة الجنسية، وهياج الغريزة ما روى الحاكم وأبو داود عن النبى ﷺ أنه قال: « **مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عَشْر، وفرِّقوا بينهم فى المضاجع** ».

فيؤخذ من هذا، أن الآباء والأمهات مأمورون شرعًا بأن يُفرِّقوا بين أبنائهم فى المضجع إذا بلغوا سن العاشرة، – مخافة – إذا اختلطوا فى فراش واحد، وهم فى سن المراهقة أو ما يقاربها – أن يروا من عورات بعضهم البعض فى حال النوم أو فى حال اليقظة ما يثيرهم جنسيًا، أو يفسدهم خلقيًا.

وهذا دليل قاطع على أن الإسلام يأمر الآباء والأمهات أن يتخذوا التدابير الإيجابية، والأسباب الوقائية لتجنيب الأولاد الهياج الغريزى، والإثارة الجنسية، حتى ينشأوا على الصلاح والتقوى والفضيلة.

روى البخارى أن النبى ﷺ أردف الفضل بن العباس رضى الله عنهما يوم النحر خلفه – وكان الفضل قد ناهز البلوغ – فطفق الفضل ينظر إلى امرأة وضيئة من خثعم كانت تسأل النبى ﷺ عن أمور دينها، فأخذ النبى ﷺ بذقن الفضل، فحوَّل وجهه عن النظر إليها.

وفى رواية للترمذى: أن العباس قال للرسول ﷺ: لِمَ لَوَيْتَ عنق ابن عمك؟ فقال ﷺ: « **رأيت شابًا وشابة فلم آمن عليهما الفتنة** ».

يؤخذ من فعل النبى ﷺ فى تحويل رقبة الفضل عن النظر إلى المرأة، ومن قوله: « **فلم آمن عليهما الفتنة** ».

يؤخذ من هذا كله أن النبى ﷺ كان يهتم بتوجيه الولد المراهق أو الشاب البالغ لكل ما يصلحه خلقيًا ويضبطه غريزيًا. مخافة أن يقع فى الفتنة. وهذه لفتة إسلامية كريمة من نبى الإسلام ﷺ فى إصلاح الجيل وتربية الأولاد.

ونستخلص مما سبق أنه يجب على الآباء والأمهات أن يجنبوا أولادهم (بنين وبنات) كل ما يثيرهم جنسيًا، حتى لا يقعوا فى حبائل الفاحشة والفساد ويتحقق ذلك بطريقتين:

١ - الرقابة الداخلية:

يجب أن يتبع الآباء والأمهات قواعد الإسلام فى منع كل ما يثير الأولاد جنسيًا.

فدخول الأولاد (سواء بنات أو بنين) وهم فى سن التمييز فى أوقات الراحة والنوم بدون استئذان. مما يثيرهم جنسيًا. لأن الأولاد - على الغالب - يفاجأوا بالاطلاع على حالة من تكشُّف العورات لا يحسن أن يروا أهلهم فيها.

لذا وجب على الآباء والأمهات أن يُعلّموا أولادهم آداب الاستئذان.

- ونوم البنين مع البنات فى مضجع واحد وهم فى سن العاشرة وما بعدها. مما يثير الولد جنسيًا ولا سيما حينما يضمه وإياهم غطاء واحد. لذلك وجب على الآباء والأمهات أن يُفرّقوا بين أولادهم فى المضاجع.

- عدم إفساح المجال للأولاد ليروا فى البيت على شاشة التلفزيون المناظر المثيرة، والتمثيليات الماجنة والدعايات الفاجرة مما يثيرهم جنسيًا.

- وأن لا يُترك الحبل على الغارب للأولاد فى أن يقتنوا ما يشاءون من صور عارية، ومجلات ماجنة، وقصص غرامية مهيجة لهم، دونما سؤال أو رقيب. مما يثيرهم جنسيًا.

لذا وجب على الآباء والأمهات مراقبة أولادهم، وأن يُلْقوا نظرة على مكاتبهم ليعرفوا كيف يرشدونهم، وكيف يوجهونهم إذا رأوا معهم شيئًا محرمًا.

إن إتاحة المجال للأولاد ليصادقوا فتيات من قريباتهم أو من فتيات الجيران وهم فى سن المراهقة من يشاءون بحجة الدراسة والاجتهاد. مما يثير الأولاد جنسيًا. لذا

وجب على الآباء والأمهات أن لا يفسحوا المجال لتوثيق العلاقة بين الذكور والإناث، لما لهذه العلاقات الغرامية من خطر كبير على الفضيلة والأخلاق.

٢ - الرقابة الخارجية:

من أخطر الوسائل التى تثير الأولاد (بنات أو بنين) جنسيًا وتوقعهم فى الهلاك ما يلى:

* مفسدة السينما والمسرح: لما يُعرض فيها من مفاتن الجنس، واستثارات للشهوة، ومظاهر الفساد والإباحية. حتى أن السينما والمسرح اليوم أصبحتا وسيلة للتحلل، ومرتعًا للمُجُونِ والميوعة. بل صارت التجارة بالأعراض والجنس - عن طريق السينما أو المسرح - بابًا للرزق عند أصحاب النفوس الهابطة الدنيئة.

* مفسدة الأزياء الفاضحة: فهى تستلفت نظر المراهقين والشباب، فلا يستطيع أحدهم أن يشعر بشىء من الاستقرار أمام هذه المفاتن المبتذلة، وأمام هذه الأزياء الفاضحة. إنه لا يستطيع ملاحقة مواكب الحسان الفاتنات الكاشفات عن أجسادهن ببصره فضلاً عما يندفع بغريزته إلى ما وراء ذلك.

فتتأزم نفسية المراهق أو الشاب حينما يرى الفتاة فى الطريق تلبس الملابس الشفافة أو يراها على الشاطىء وجسدها عَارٍ، أو يراها فى النوادى والحفلات فى صورة مبتذلة أو ملتهبة، فكانت النتيجة أن هذه التيارات قد جرفت شبابنا إلى شاطىء العزوبية.

وذلك يرهق الأعصاب، ويفسد الأخلاق، ويصرف الشباب عن الجد والعمل والبناء.

إن المرأة المسلمة مطالبة أن تحيا فى حدود الأخلاق والمبادىء والأصالة الإسلامية وأن تحافظ على استقامة المجتمع وطمأنينته، وأن ترحم المراهقين والعزَّاب بمظاهر الحشمة والكمال. وبما ترتديه فى زى الجلاليب والحجاب، وإلا فإنها تعتبر

شرعًا حائدة عن مبادىء الإسلام ومسترسلة فى متاهات الفسق والعصيان، منقادة للضلال.

يقول المولى ﷻ: ﴿ **وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى الله وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الخِيَرَةُ مِن أَمرِهِم** ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

ولا شك أن للصحبة الفاسدة أثرها الأكبر فى الإفساد والإغواء، فالولد سواء كان ذكرًا أم أنثى إذا كان خاوى العقيدة فارغ الخلق، ميت الضمير، يخالط الأشرار، ويصاحب الفجار. فلا بد أن ينتهى إلى هذا المصير المخزى، والنهاية الأليمة، وما ذاك إلا لإهمال الرقابة المنزلية من الأبوين. أو لتاثيرات الفساد الاجتماعى الذى استشرى فى المجتمع فى كل مكان.

والذى أحب أن أقوله بعدما تقدم:

أن المربِّين جميعًا من آباء وأمهات. ومصلحين ومعلمين. إذا أخذوا بوسائل الإسلام الإيجابية من توعية وتحذير فى إصلاح الولد وتربيته وإعداده، فإن الولد أو البنت يتجنب كل ما يثيره جنسيًا ويفسده خلقيًا. ويبتعد عن أسباب الفساد، وعن عوامل الميوعة والانحراف. بل يكون قمر هديه، وشمس إصلاح وملكًا يمشى على الأرض .. لصفاء نفسه، وطهارة قلبه وكريم أخلاقه.

الأم مدرسةٌ إذا أعددْتَها   أعددْتَ شعبًا طَيِّبَ الأعْراقِ

والفتاة إذا طبَّقت بعد ذلك تعاليم الإسلام وتوجيهاته صارت مثالاً حيًّا للدين والخلق فإنها بذلك تغرى الشاب بالإقدام ليتسلم منها مفتاح بيت الزوجية.

اللهم وفِّق الآباء والأمهات جميعًا لأن يأخذوا بمنهج الإسلام فى تربية الأولاد، حتى ينجوا من المسئولية بين يديك فى يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون حتى يروا الجيل المسلم فى تطبيق شامل للإسلام، وفى التزام كامل لمبادىء القرآن.

الإيمان بالله ... وأن تكون أعمالك
خالصة لوجهه ... موافقة لشريعة الإسلام

ابنتى الحبيبة :

إن لكل عمل ناجح أسسًا وسبلاً يُبنى عليها، ولا بد أن تكون له بعض الصفات حتى يكون مقبولاً. ومن هنا فحتى تكون الشخصية الإسلامية متكاملة فى تصورها وانتمائها لا بد أن تتصف ببعض الصفات.

وفى هذه العجالة - ابنتى الحبيبة - أقدم لك بعض هذه الصفات التى أراها أساسية فى تكوينك حتى تكونى صورة حية متحركة لإسلامنا العظيم (ديننا الخالد).

وهذه الصفات - ابنتى الحبيبة - تتمثل فى:

أولاً: الإيمان بالله:

إيمانك بالله الخالق ... الواحد الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ... ولم يكن له كفوًا أحد.

فبالإيمان وحده - ابنتى الحبيبة - تستطيعين أن تصمدى فى مواجهة صراع الحياة ومغرياتها وفتنها.

إذَا الإيمانُ ضَاعَ فَلا أمان ... ولا دُنْيا لمنْ لَمْ يُحى دِينَا

ومَنْ رَضِيَ الحياةَ بغيرِ دينٍ ... فقدْ جعلَ العناءَ لها قَرِينا

إن الإيمان بالله هو:

أساس الفضائل.

ولجام الرذائل.

وقوام الضمائر.

وسند العزائم فى الشدائد.

وبلسم الصبر عند المصائب.

وعماد الرضى والقناعة بالحظوظ.

ونور الأمل فى الصدور.

وسَكن النفوس إذا أوحشتها الحياة.

وعزاء القلوب إذا نزل الموت أو قربت أيامه.

والعروة الوثقى بين الإنسانية ومُثلها الكريمة.

لقد خلق الله الإنسان، ورفعه وكرَّمه، وميَّزه بهذه النفس العاقلة المفكرة، التى علَّمه بها الأسماء كلها، وجعله خليفة على أرضه، وصيره بها فوق الملائكة، وكتب الفلاح لمن زكاها، والخيبة لمن دساها، قال تعالى: ﴿ وَنَفسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۞ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقوَاهَا ۞ قَد أفلَحَ مَن زَكَّاهَا ۞ وَقَد خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴾ [الشمس: ٧-١٠] فكيف نُزكِّى أنفسنا؟

إننا نزكيها بالتفكير، حتى تتسامى إلى مثلها الأعلى وتصل إلى (اليقين) من الحق والخير والجمال، فترى الله عنده ... وتجد من حلاوة الإيمان ما تدرك به سر شقائها وسعادتها وضعفها وقوتها، وعجزها وقدرتها، وعبوديتها وحريتها ... بل سر خلقها، وبذلك نفهم معنى العبودية الخالصة لله، فيستقيم معنى العبادة. لذلك كان حقًا علينا، من باب الحاجة والضرورة، بل من باب الحق والعبادة والتقوى، ومن أجل سلامة عقولنا، وسلامة قلوبنا، وسلامة ضمائرنا، وسلامة إنسانيتنا ومُثلها العليا، وسلامة المجتمع، أن نؤمن بالله وحده لا شريك له وأن محمدًا ﷺ عبده ورسوله. بلَّغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وكشف الغمة، وتركنا على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها. لا يزيغ عنها إلا هالك ... فنعوذ بالله من المهالك.

ثانيا: تربية الضمير المسلم:

يقول الفيلسوف الإسلامى الكبير (ابن مسكويه) فى كتابه الموجز الجليل "تهذيب الأخلاق": « إن المزية الوحيدة التى يتميز بها الإنسان عن الحيوانات الكثيرة كلها هى مكارم الأخلاق ». هذه المزية الخاصة هى (الأخلاقية) التى تتجلى (بالضمير الإنسانى).

فالحيوان يعقل، وقد ترى فيه قوة التعقل كما فى بعض القرود، ولكنه لا يفهم معنى (الأخلاقية) ولا يمكن أن يكون له الشعور الذى نسميه (الضمير).

فأخلاقيتنا، إذًا هى المزية الوحيدة التى نثبت بها (إنسانيتنا)، وإذا خرجنا من هذه المزية عُدْنا إلى مرتبة الحيوانات، بل كان كل حيوان، بمزيته الخاصة، خيرًا منا، لأننا فقدنا ميزتنا الخاصة، وليس لنا مزاياه.

هكذا قال ابن مسكويه، وهكذا من بعده بعصور جاء دارون يقول: إن الضمير أو الحس الأخلاقى هو أظهر فاصل يفرق بين الإنسان والحيوان، وجاء "كانط" يتخذ من هذا الشعور الأخلاقى منطلقًا لإثبات خلود الأرواح ويوم الحساب، ووجود الله الحكم العدل القدير. هذا الضمير الأخلاقى إنما يصونه الصيانة الكاملة الدائمة الساهرة، النافذة من وراء حجب الخفاء، شىء واحد: وهو الإيمان بوجود الله الحكم العدل القدير.

وإذا أيقن الإنسان باطلاع الله على حركاته وسكناته، وعلمه بخفىّ أمره وجلّيه، أدرك أن الله معه حيثما كان: ﴿ وَهُوَ مَعَكُم أَينَ مَا كُنتُم ﴾ [الحديد: ٤] فاستحيا من الله المرافق له، الرقيب عليه، القريب منه، فخشيه بالغيب، وخافه على كل حال ففاز بالخير فى أولاه وأخراه: ﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكرَ وَخَشِيَ الرَّحمَـٰنَ بالغَيبِ فَبَشِّرهُ بِمَغفِرَةٍ وَأَجرٍ كَرِيمٍ ﴾ [يس: ١١] وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَخشَونَ رَبَّهُم بِالغَيبِ لَهُم مَّغفِرَةٌ وَأَجرٌ كَبِيرٌ ۞ وَأَسِرُّواْ قَولَكُم أَوِ اجهَرُواْ بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۞ أَلا يَعلَمُ مَن خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ ﴾ [الملك: ١٢-١٤].

ومتى تحققت هذه الخشية، تحقق الضمير الإسلامى المصاحب الدائم الذى لا يخون، والذى يبلغ بصاحبه درجة الإحسان، وهى أعلى مراتب العبادة فى الإسلام، وقد عبَّر الرسول ﷺ عن هذا الإحسان بما نفهم منه أنه سيطرة الضمير الدينى على صاحبه، حتى لا يدعه يهفو أو يغفو، فيقول: « **الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه، فإنه يراك** ».

ولقد سأل رجل النبى ﷺ: كيف يُزكِّى المرء نفسه ويُصفِّيها؟ فأجابه: « **أن يعلم أن الله معه حيثما كان** ».

وفى رواية أخرى: « **إن أفضل الإيمان أن تعلم أن الله معك حيثما كنت** ».

وهذا أحد حكماء الإسلام يقول: إن أكبر مقومات الضمير هو الاعتقاد بإله قادر، يحاسب على الكبائر والصغائر، ويطلع على ما تُكنُّه السرائر وبحياة بعد هذه الحياة، يثاب أو يعاقب فيها الإنسان على ما قدمت يداه، فكل تربية وكل تعليم لا يغنيان عن صاحبهما شيئًا ما دام صاحبه مُقفرًا من هاتين العقيدتين، وهذا هو المشاهد المَحَسُّ، فإن الناس فى أيام جهالتهم، وعدم انتشار التعليم فيهم، كانوا بفضل هاتين العقيدتين أفضل حالاً، وأقوم أخلاقًا مما هم عليه اليوم، يشهد بذلك كل من اطلع على التاريخ ودرس أحوال الأمم فى أدوارها المختلفة.

والمراقبة لله من الداخل وفى الأعماق هى التى تحسن قيادة الأعضاء والأطراف، فلا يكون من الإنسان ما يسوء أو يعاب فى تصرفاته أو حركاته، ولذلك قال ابن حسرومه الطوسى: من راقب الله فى خطرات قلبه، عصمه الله فى حركات جوارحه.

وحينما كانت هذه المراقبة متحققة فى أبناء الإسلام كان الحياء من الله يسيطر عليهم فيعصمهم من الخلل والزلل، حتى فى حالة الانفراد وعدم اطلاع الناس، وكان منهم من يبالغ فى ذلك، فكان خيار المتعبدين مثلاً يخجلون من كشف عوراتهم وهم

منفردون، لأنهم يتذكرون أن الله تعالى معهم، لا يغيب عنهم، ولا ينقطع عن الاطلاع عليهم، فكل منهم يقول لنفسه:

إذَا مَا خلوْتَ الدهْر يومًا فلا تَقُلْ   خلوْتُ، ولكِنْ قُلْ: عليَّ رقيبُ

ولا تحسبنَّ الله يغفلُ ساعةً   ولا أنَّ ما تُخفيهِ عنه يغيبُ!

ويُروى أن السيدة عائشة رضى الله عنها كانت تتحفظ عند قبر النبى ﷺ بعد أن دفن عمر رضى الله عنه إلى جوار النبى ﷺ وأبى بكر الصديق رضى الله عنه، وحكت ذلك فقالت: « **ما زِلْتُ أضع خمارى وأتفضل فى ثيابى وأقول: إنما زوجى وأبى حتى دُفِنَ عمر بن الخطاب، فلم أزل متحفظة حتى بُنِىَ بينى وبين القبور جدار فتفضلت بعد** ».

ومما يستحق الثناء والتقدير فى هذه الخشية ما يروى أن شابًا غِرًا راود فتاة مؤمنة عفيفة عن نفسها، وقد أقبل الليل وانتشر الظلام، فتأبّتْ عليه قائلة: (أما تستحى؟) فقال لها: (وممن أستحى وليس أمامنا إلا الكواكب؟!) فأجابته الفتاة زاجرة مؤدبة: (فأين مُكوكبها؟) أى فأين الله مبدعها جل جلاله؟!

وقصة عمر مع ابنة بائعة اللبن مشهورة، وسلطان الضمير الدينى لائح واضح، فقد سمع عمر وهو يتفقد أحوال رعيته بالليل امرأة تقول لابنتها داخل البيت: يا ابنتى، قومى اخلطى اللبن بالماء، فأخبرتها الفتاة أن منادى الخليفة عمر، قد نادى بألا يخلط اللبن بالماء، فقالت لها الأم: إنك فى مكان لا يراك فيه عمر ولا منادى عمر، فأجابتها البنت المؤمنة مستنكرة مذكرة: لا والله ياأماه، فما كنت لأطيعه فى الملا وأعصيه فى الخلا، إن كان عمر لا يرى، فربُّ عمر يرى.

فتعلّم عمر رضى الله عنه هذا البيت، وكافأ هذه الفتاة المؤمنة على يقظة ضميرها بأن زوَّجها لابن أمير المؤمنين "عاصم" فأنجبت بنتًا تزوجها عبد العزيز بن مروان فأنجبت خامس الخلفاء الراشدين "عمر بن عبد العزيز" ﷺ.

وكم من عوام نراهم أسلم صدورًا وأطهر تصرفًا، وأحسن أخلاقًا من بعض الأميين من المثقفين والمتعلمين، لأن العبرة هنا بسلامة الصدور وطهارة القلوب وحياة الإيمان قال تعالى: ﴿ يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ ۞ إِلا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ [الشعراء: ٨٨، ٨٩] وقال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ [ق: ٣٧].

والقلب كما قال أحد العلماء: متى ثارت فيه ثوائر الشهوات لم تستطع أن تردها قوة العلم والثقافة، لأن النفس تجد من كليهما مخرجًا بالتستر أو سواه، ولكن تستطيع أن تردها قوة العقيدة بالله، وقد صلحت هذه القوة أن ترد عن الشهوات جماعات لم تنل من العلم ولا الثقافة شيئًا يُذكر، ويوم يجتمع العلم والدين تكتمل قوة الضمير الصالحة فى نفس الإنسان.

والذين يؤمنون بالله ويعتقدون فى يوم الجزاء، قد يَهْفُون أو يزلّون لما فى الإنسان من حظ النقص، وجَلَّ من لا يخطىء ولا يسهو، ولكنهم سرعان ما يفيئون من زللهم، ويتوبون إلى ربهم، ويعاودون الاستقامة على طريقهم، لأن هاتفًا قويًا فى أعماقهم هتف بهم أن ربهم مطلع عليهم، وأنه بالمرصاد، وأنه الغفور الرحيم، وصاحب العذاب الأليم، فى وقت واحد، وهذه الإنابة تجعلهم على الدوام يقظين محترسين مُقوِّمين لما يعرض لهم من خلل أو انحراف.

يقول الله تعالى: ﴿ وإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۞ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ۞ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لا يُقْصِرُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٠٠-٢٠٢].

والنزغ هنا أقل وسوسة تكون، فأمر الله عبده أن يهرب من الوسوسة بالمراقبة والتذكر، وأن يلجأ إلى الله ويعتصم بحماه، حتى لا يركن إلى هذه الوسوسة أو يستجيب لها، والمتقون لربهم إذا ألَمَّ بهم شىء من جهة الشيطان تنبهوا واستيقظوا،

فإذا هم على بصيرة من الأمر. وحذَر من السوء، وأما الفجار فـإن الشـياطين تسـرف فى إغوائهم دون ارعواء أو انتهاء.

هذا الضمير الأخلاقى، إنما يصونه الصيانة الكاملة الدائمة الساهرة، النـافذة مـن وراء حجب الخفاء، شىء واحد، وهو الإيمان بوجـود الله الحكـم العـدل القديـر وأن تكـون أعمالنـا خالصـة لوجهـه، موافقـة لشـريعته سبحانه وتعـالى. وبذلـك تتحقــق إنسانيتنا. فتحقيق إنسانيتنا ضـرورة اجتماعيـة، وإنسـانيتنا لا تتحقـق إلا بأخلاقيـات، وأخلاقياتنا لا تُصَان إلا بالإيمان، فالإيمان إذًا أمر ضرورى لأنه يمسـك أخلاقياتنـا التـى تثبت بها إنسانيتنا.

للفتاة المسلمة المؤمنة آدابٌ عليها أن تلتزم بها وتحيا عليها طوال حياتها، كما أن لها أخلاقًا حسنة هى قوام سعادتها، فإن رزقت هذه الأخلاق وتلك الآداب رزقت كل خير، وإن حرمت منها حرمت من كل خير، وجميعنا يتساءلون الآن. ما هى تلك الآداب والأخلاق التى يجب أن تتحلى بها الفتاة المسلمة المؤمنة، وتجمل وتكمل حياتها بها؟

والإجابة هى:

١ - **الحياء والاحتشام**: فالحياء أخو الإيمان، وجماع البر الإحسان، وهو لا يأتى إلا بالخير، فاستحى أيتها المسلمة من الله تعالى حق الحياء، فلا يراك على ما يكره. واستحى من الملائكة فلا تتكشفى فى خلوتك ما استطعت، واستحى من زوجك وأهلك وجميع الناس، فلا تقولى قولاً يجانب الحشمة والحياء.

٢ - **الصبر**: وهو أن تلزمى نفسك بالطاعات وفعل الخيرات بلا ملل أو ضجر، كما تلزميها بالبعد عن المعاصى وعن كل أخلاق سيئة كالكذب والخيانة والغش والخسة والكبر والعجب، والبخل، وعليك بإظهار الرضا بحكم الله وأقداره وقضائه.

٣ - **الصمت**: وحسن الصمت، فقلّلى أيتها الفتاة المسلمة من الكلام ولا تتكلمى إلا بخير، وإذا تكلمت فأوجزى فى الكلام، وقولى المعروف دائمًا، قال الحق تبارك وتعالى فى تأديب النساء: ﴿ **فَلا تَخضَعنَ بالقَولِ فَيَطمَعَ الَّذِى فِى قَلبِهِ مَرَضٌ وَقلنَ قَولاً مَّعرُوفًا ۞ وَقَرنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجنَ تَبَرُّجَ الجَاهِلِيَّةِ الأُولَى** ﴾ [الأحزاب: ٣٢، ٣٣]

٤ – **انصفى دائمًا من نفسك:** فإن الإنصاف والعدل من حسن الإسلام، وعاملى زوجك كما تحبين أن يعاملك، واكرهى لغيرك ما تكرهينه لنفسك، وأحبى لأهلك وأقاربك وسائر المؤمنين ما تحبين لنفسك، ففى الحديث الصحيح: « **لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه** ».

٥ – **اجعلى الصفح والعفو من شيمك:** فلا تقابلى السيئة بالسيئة، ولكن بالحسنة وبالكلمة الطيبة، قابلى الجفاء والغلظة من أفراد عائلتك وأقاربك وجيرانك بالعطف والرحمة واللين. إن علَتْ أصواتهم اخفضى صوتك. وإن قبحت كلماتهم فجمِّلى لفظك، بهذا تملكين قلوبهم، وتظفرين بودهم وقُرْبهم وحُسْن معاملتهم.

٦ – **اجعلى النظافة من سماتك:** فاعتنى بنظافة ثوبك وجسمك، ومسكنك، ومضجعك، فإن النظافة من الإيمان، وكذا نظافة أبنائك ثيابًا وأبدانًا وألسنة.

٧ – وعليك أن تلتزمى بالحجاب الإسلامى الصحيح الذى يستر جميع بدنك ومفاتنك: ولا تتزينى إلا لزوجك، ولا تكثرى الخروج من بيتك، فإن خروج المرأة إلى الشارع غير محمود، إذ يؤدى بها إلى فقد الحياء، والحياء أخو الإيمان، فإذا ذهب الحياء ذهب الإيمان، وأجمل ما فى المرأة المؤمنة حياؤها.

٨ – وعليك أيتها الفتاة المسلمة ألا تُعرِّضى نفسك لرؤية الناس بالوقوف أو الجلوس على الأبواب، أو بالاستشراق من فوق الأسطح والشرفات. فإن ذلك مُخِلٌّ بالأدب مُؤدٍّ للفتن، فالزمى بيتك أيتها المسلمة قدر استطاعتك تفوزى برضا ربك.

٩ – لا تنسى المحافظة على الصلوات الخمس بأدائها فى أوقاتها فى خشوع وخضوع.

١٠ – وعليك بالتزام طاعـة زوجـك إن كـان لـك زوج، أو أبويـك أو أحدهمـا إن كنت غير متزوجـة. بـأن تستجيبى لهـم، وتنفـذى أوامرهـم وتحدثيهـم حديثًـا حسنًا، وتُخفِضى صوتك أمامهم.

١١ – عليك بالعناية بأولادك، وتعليمهم وغَرْس القيم والأخلاق الفاضلة فيهم، هـذا بالإضافة إلى عنايتك بشئون بيتك فى نظافة وترتيب وإعداد الطعام أو الشراب، والعمل على أن يكون سكنًا مريحًا هادئًا.

مراجع الكتاب

١ - الزواج والجنس - محمد الخشت - دراسة من منظور الإسلام والمعارف الحديثة - مكتبة هاشم للنشر والتوزيع.

٢ - الزواج الإسلامى السعيد وآداب اللقاء بين الزوجين - أبو حامد الغزالى - تحقيق محمد عثمان الخشت - مكتبة القرآن للنشر والتوزيع.

٣ - النبى والبنات - عبد المعز خطاب - دار الاعتصام.

٤ - حواء التى أنصفها الإسلام - حسن على حمدان - دار الإسراء للنشر والتوزيع.

٥ - المرأة ومكانتها فى الإسلام - ط ٢ - أحمد عبد العزيز الحصين - مكتبة الإيمان.

٦ - الإسلام والأسرة - د. محمد بن الشريف - من مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية - ١٩٧٢م.

٧ - التوجيه الإسلامى للشباب - من بحوث مؤتمرات مجمع البحوث الإسلامية - الشركة المصرية للطباعة والنشر - (١٩٧١م - ١٣٩١هـ).

٨ - سيكولوجية الطفولة والمراهقة - د. هناء يحيى أبو شهبه - (١٩٨٩م - ١٤٠٩هـ).

٩ - مسئولية المرأة المسلمة - عبد الله بن جار الله بن إبراهيم الجار الله - مكتبة زهران.

١٠ - من ست شمعات حتى سن المراهقة - د. أحمد السعيد يونس - دار نهضة مصر.

١١ - المرأة المسلمة - الشيخ محمد متولى الشعراوى - مكتبة زهران.

١٢ - الزواج والعلاقات الجنسية فى الإسلام - عادل عبد المنعم أبو العباس - مكتبة القرآن.

١٣ - بدع وخرافات النساء - مجدى السيد إبراهيم - مكتبة القرآن.

١٤ - الصفات المطلوبة فى البنت والزوجة - عكاشة عبد المنان الطِّيبى - دار الفضيلة.

١٥ - كيف أختار شريكة حياتى؟ - عكاشة عبد المنان الطِّيبى - مكتبة التراث الإسلامى.

١٦ - حياتنا الجنسية - د. صبرى القبار - دار العلم للملايين.

١٧ - الأعشاب وفوائدها فى علاج أمراض المرأة - د. موسى الخطيب - دار الروضة.

١٨ - بر الوالدين وحقوق الآباء والأبناء والأرحام - أحمد عيسى عاشور - مكتبة القرآن.

١٩ - شهر عسل بلا خجل - د. أيمن الحسينى - مكتبة ابن سينا.

٢٠ - تربية الأولاد فى الإسلام - الجزء الأول والثانى - عبد الله ناصح علوان - دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع.

٢١ - النصائح الذهبية للشباب - د. موسى الخطيب - دار الجيل.

٢٢ - حواء التى أنصفها الإسلام - حسن على مصطفى حمدان.

الفهرس

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة